صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

تشرين الاول

١٩٧٦

ذكرى وتحية

بقلم :

في مثل هذا الشهر ، وفي كل عام ، تعتادنا الذكريات ٠٠ تلك الذكريات التي لا أجمل ولا أروع ، انها ذكريات تشرين ، ذكريات العزة والكرامة ، يوم وقفت أمتنا لتبرهن من جديد عن طاقاتها وقدراتها ، رغم أنف المعترضين ، وعلى الرغم من أعدائنا الذين حاولوا أن يؤمنوا بنهاية أمة العرب وتصفيتها ٠

ستبقى ذكريات تشرين الأبطال ممن خلدوا في تاريخ هذه الأمة أروع صفحات النصر ، تشرين الشهداء ممن سطروا بدمائهم عزة أمتهم ورفعتها ٠

فالرحمة والرضوان لشهدائنا الأبرار ، وألف تحية واجلال لقائد المسيرة المظفرة وحامي مجد أمتنا الرئيس القائد حافظ الأسد ، وتحية اكبار لكل عربي أسهم ويسهم في معركة المصير ٠٠ معركة الأمة العربية ٠

وسيبقى تشرين فاتحة خير في استرجاع حقوقنا كاملة على أرضنا السليبة ٠

رئيس التحرير

متخيّر الألفاظ

شفيق جبري

من كتب اللغة كتاب : متخير الالفاظ لمؤلفه أحمد بن فارس ، وقد طبع في بغداد في سنة ١٩٧٠ ، حققه الاستاذ هلال ناجي وصدره بمقدمة واسعة ذكر فيها كل ما يتصل بحياة ابن فارس من المهد الى اللحد ، فلم يغفل عن شيء من هذه الحياة مثل ثقافته ومذهبه وغيرهما ، فضلا عن سعة الحواشي الدالة على امتداد الاطلاع ، وعلى الجهد المبذول في توضيح ما يفتقر الى التوضيح ، وتفسير ما يحتاج الى التفسير ، وغير ذلك من كثير من الامور التي تبين فرط العناية ٠

وقد عقد في المقدمة فصلا أفاض فيه في الكلام على تأليف المعجمات وعلى ما اختص به كل معجم منها ، ثم قابل بينها وبين « متخير الالفاظ » وأشار الى خصائص هذا الكتاب ، والى الفرق بينه وبين المعجمات التي تقدمته ، واذا أردنا أن نعرف مقدار ولع الاستاذ المحقق بكتاب : « متخير الالفاظ » فلا يدلنا على هذا الولع مثل قوله : انهذا الكتاب أصبح جزءا من كيانه ، فقد صاحبه ما يقرب من عام كان فيه سميره كل ليلة ، ولولا أن موضوعي انما هو كتاب : متخير الالفاظ لاتيت على ذكر ما اشتملت عليه مقدمةالاستاذ المحقق من المحاسن فأنا أكتفي بالاشارة اليها لاخلص الى الموضوع الذي أردته ٠

ذكر ابن فارس في مقدمة كتابه السبب الذي من أجله سمى كتابه : متخير الالفاظ فانما نحله هذا الاسم لما أودعه من محاسن كلام العرب ومستعذب ألفاظها ٠٠٠ ولم يأل جهدا في الانتقاء والانتخاب والتخير وقد تبسط في الكلام على مزايا كتابه مما لا حاجة بي الى الالماح اليه ٠

والذي قيد خاطري في هذه المقدمة البليغة قول صاحبها في خلالها : وليعلم ، أي قارىء الكتاب ، أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء السهل من الخطاب ، واجتناب الوعر منه والانس بأنيسه والتوحيش من وحشيته ، فهذا زمان ذلك ، ولن يتسنم أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ الغلق والتطلب للخطاب المستغرب ٠

ان قول ابن فارس : فهذا زمان ذلك ، انما أراد به أن العصر الذي عاش فيه وهو القرن الرابع انما هو عصر السهولة في البيان ، والبعد عن وحشي الالفاظ ووعرها ، ولا ريب في أن ذلك العصر كان عصر حضارة ، فلم تألف فيه الاذواق غير الكلام السهل ، فلكل عصر لغة تناسب روحه ، فما شاع من الالفاظ في عصر البداوة لا يصلح شيوعه في عصر الحضارة ، فهذا من بدائه الامور التي لا تحتاج الى دليل ٠

ولو تتبعنا أبواب : متخير الالفاظ لوجدنا أن هذه الابواب تحتوي على ما أراده صاحبها من مستعذب الالفاظ ، وهي أبواب كثيرة تدخل فيها موضوعات شتى قد يطول احصاؤها ، وليست الغاية أن أبين صفات هذه الالفاظ كالعذوبة والسهولة وغيرهما وانما الغاية في هذا المقال المختصر أن أشير الى ما خرج عن هذه العذوبة والسهولة في

عصرنا هذا ، وكان مألوفا في عصر ابن فارس ، ولا بد لي من ضرب الامثال ، ففي بعض أبواب الكتاب نقع على ألفاظ كانت على ما يظهر أنيسة في عصر المؤلف ، وما أظن انا نجدها أنيسة في عصرنا .

لا شك في أن معظم ما تخيره ابن فارس من الالفاظ انما هو من مستعذب الكلام الذي يجب استعماله في عصرنا على النحو الذي استعمل عليه في عصر ابن فارس ، فهو مادة خصبة يستعين بها الكاتب في هذا الزمن ، فلا تنقطع به الصلة بينه وبين عصور البلاغة الماضية ، الا أنه على نحو ما تقدمت الاشارة اليه وهي قليلة ، ولكن لا بد من ذكر بعضها حتى يتحقق عندنا أن لكل عصر لغة خاصة به .

من هذه الالفاظ قول ابن فارس في باب الرجل المحمود الخلق ، يقال : انه أحلى من عذق بن طاب ، وابن طاب جنس من الرطب ، فاذا لجأ أحدنا الى هذا التعبير يومنا هذا فلا يفهمه أحد ، وسرعة الحياة لا تتسع للبحث عن معناه ، والتفتيش في كتب اللغة عن أصل هذا الاستعمال .

وجاء في باب الرجل المشتهر النبيه ، تقول العرب : فلان لا يحجز في العكم ، وقد فسر الاستاذ المحقق كلمة العكم فقال : العكم العدل أو الكارة وما شد وجمع به ثوب أو سواه ، فهذا قول اذا ساغ في عصر ابن فارس فانه لا يسوغ في عصرنا على ما أعتقد .

وجاء في باب الشيب يقولون : وفلان قشعم دالف ، والقشعم المسن من الرجال كما فسره المحقق .

وجاء في باب الجمال ويقولون : أحسن من الوذيلة وهي المرآة .

وجاء في باب العبوس والقبح يقال : وأصبح مسخد الوجه ، والمسخد في تفسير المحقق المورم ، المصفر ، الثقيل من مرض أو غيره .

وجاء في باب السخاء ويقولون : هو صبير ينضح السمي ، قال المحقق : الصبير السحاب الابيض ، والسمي جمع سماء وهو المطر .

وجاء في باب الغضب يقال : استأرب عليه غضبه أو : فلان يكسر عليك الارعاظ ، للذي يغتاظ على الرجل وتبوعده ، والارعاظ واحدها رعظ وهو الذي يدخل سنخ نصل السهم .

واني لأجتزىء بهذا القدر من الاستشهاد ، لاني ما توخيت الا الدلالة على أن لكل عصر لغة ، فلا ريب في أن كتاب : « متخير الالفاظ » قد حوى طوائف من اللفظ الجزل والكلام العذب ، والتراكيب المناسبة لروح الحضارة طبقا للمذهب الذي ذهبه ابن فارس في تأليف كتابه النفيس ، وما هذا المذهب الا مذهب الذوق الصافي ، ولست في حاجة الى ذكر نماذج من الالفاظ السهلة التي انتخبها ابن فارس ، فالكتاب ملآن من هذه الالفاظ ولا يضيره ورود بعض ألفاظ يستغربها ذوقنا في أيامنا هذه ، ولو بعث ابن فارس في هذا العصر لاستغرب ما استغربناه ، ولجارى روح عصرنا ، معنى هذا كله أن لكل عصر كما كررت ذلك لغة خاصة به في مجامع الموضوعات ، في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعمران ، وما شابه ذلك ، فهذا دليل قاطع على أن اللغة لا تثبت على شكل من الاشكال ، فهي تتنقل على مر العصور من وجه الى وجه ، ومن صورة الى صورة ، شأنها في ذلك شأن المخلوقات في عالم الطبيعة ، ولو دققنا في المعجمات وفي كتب اللغة المتقدمة لرأينا أن كثيرا من الالفاظ قد ماتت وان كثيرا منها قد تبدلت معانيها ، أو قد ولدها عصر من العصور لم تكن قبله ، وما أوفر البراهين على ذلك ، فهذا عصرنا الذي نعيش فيه لو تتبعنا ما ولده من المفردات والتراكيب ، أو ما نقل معاني هذه المفردات والتراكيب من وجه الى وجه ، لاهتدينا الى أشياء كثيرة من هذا القبيل ، وما أظن أن بي حاجة الى الاستشهاد ، فان الذين يستمعون الى دور الاذاعة ، أو الذين يطالعون صحف هذه الايام وبعض مجلاتها وكتبها ، يشعرون بصحة ما أقول ، واذا كان لامندوحة عن بعض الاستشهاد فاني أكتفي ببعض ألفاظ ولدها عصرنا من ذلك : التأميم والتصنيع والتطوير وغير ذلك ، فقد تحتاج مذاهب الاجتماع والاقتصاد والسياسة الى ألفاظ تفصح عن أغراض مستحدثة ، فتخلق هذه الالفاظ طبقا لرغباتها ، ولا نستطيع أن نقول أن هذه الالفاظ قد تكون خالدة في الآتي ، فقد تتغير المذاهب التي ذكرتها ، فتتغير معها ألفاظها وتراكيبها ، وتحدث بدلا منها ألفاظ وتراكيب تستلزمها حاجات المستقبل ، كل هذا لا قدرة لنا على الوقوف في سبيله ، ولكن الذي يهمنا في كل هذه التغيرات انما هو بقاء لغتنا على روحها وعبقريتها ، فليس يقضي على اللغة ميلاد لفظ مستحدث ، وانما الذي يقضي عليها الخروج عن روحها ، والانحراف عن عبقريتها مما نسمعه في هذه الايام من شعر أو نثر ، لم تألفه لغتنا ، هذا هو الذي نخشى أن يقضي على اللغة ، والمؤلم أنه فسح لنشر هذا الشعر وهذا النثر دون شيء من القيد !

فاذا كنا نعظم كتاب : متخير الالفاظ لاحمد بن فارس او اذا كنا نعظم أشباه هذا الكتاب من تأليف شيوخ اللغة وأئمة البلاغة في قديم عصورنا ، فما السبب في هذا التعظيم الا حرص هذه الكتب على روح اللغة وعبقريتها .

المنابع الثقافية الأولى للشعر الجاهلي

د. عادل جاسم البياتي

لقد راعيت في هذه الدراسة ، وهذا منهج مخطط له من قبل ، أكثر ما راعيت تجديد شباب الدراسات في الشعر العربي ، ليعود اليها رواؤها القديم ، يوم درس علماؤنا الاوائل الشعر الجاهلي ، لاول مرة ، وبالاخص منهم الجاحظ ، دراسة خلق وابداع ، تتجلى فيها روح المعاصرة ، ورؤيا متطورة الى موروث قديم . ولم تتوفر العقول المتممة لهذه الخطى الواسعة .

وأما ما يفعله الدارسون اليوم ، فهو امتداد لهذا المنهج المنبثق منذ القرن الثالث الهجري ، وبالاسلوب نفسه . وكان يحسن بنا بدلا من أن نكرر شخصياتهم العلمية في وجودنا ، انعيد مالا جدوى من اعادته ، أن نترسم الخطى الرائدة يومئذ ، طالما أن مناهج البحث العلمي قد نمت وتطورت ، ولان ما قاله الجاحظ وغيره في دراساتهم التي تعتبر حينذاك فتحا عظيما في عوالم البحث ، لم تكتمل اليوم وفق معطيات هذا العصر . فلقد نجح الرواد في شد جمهورهم الى تراثهم ، فلننظر نحن اليوم ، مع وفرة ما نحقق وننشر ، مكان جمهورنا منه ؟! والعلة في الدارسين لا في الجمهور . وان نشر التراث وبعثه عمل جليل ، ويكون أعظم قدرا ، وأكثر جدوى ، يوم يقترب الجمهور منه ، يمد اليه يده المعطاء وفكره وروحه ، فيورق التراث وتنهض الامة .

ان الباحث المجدد هو امتداد للتراث الواجب نشره ، وغياب هذا الباحث معناه انفصام لامتداد الفكر الانساني للامة ، واختفاء لهذا التراث ، وتوقف لامد يطول أو يقصر عن تحسس وجودنا عبر ابعاد الزمن الثلاثة .. فالباحث المجدد يضرب بجدوره في الماضي ، ويضيء باشعاعه الفكري للمستقبل .

ولم أجد ضرورة منهجية في وقفة شمولية تاريخية لهذا العصر ، فذلك من صميم عمل المؤرخ ، وليس وراء استطراده كبير النفع ، وان كنت أعتقد جازما بأن هذا العمق هو الظهير الذي يتزود منه الشاعر بمقومات أصالته ومنه يستمد أثرى معطيات مهنته ، وأمضى أسلحته . وخير لمن يبحث في ثقافة الشاعر الجاهلي ، أن يجمع عينات من هذا التاريخ ، وهي عينات تكون بمثابة نقاط مضيئة في مسيرة الامة ، نلتقطها في صورة الهام مشرق من الثروة الشعرية نفسها ، لا من كتب المؤرخين والاثريين لنقابلها بنظيراتها في الشعر ، بل ما فعلناه هو العكس تماما .

ولقد سبق لي أن بينت في بحث سابق بعنوان : الشعر والتاريخ ، بأن الشاعر لا يأخذ من التاريخ الا بمقدار ما يمده بزخم المعاصرة والرؤية المستقبلية ، بل ان الشاعر المعاصر يتعامل مع أحداث عصره بنفس هذا المنطلق ، لان الشعر استبطان لمستقبل مضى أو تطلع نحو ماض يأتي .. يوم كان الماضي حاضرا ، ويوم يكون المستقبل ماضيا .

وأما التاريخ فهو محض وثائق ومدونات ترتبط بزمن وواقع ، فاذا انتهت هذه الوثائق انتهى التاريخ المدون وبدأ ما هو أسمى .. انه الشعر . وان عمل الشعر يبدأ حيث ينتهي عمل الوثيقة ، فهو عمل الامة ... والشاعر وجدان غامض في أعماق الامة ، يكتب سيرتها الذاتية ، ويمزجها في عالمية متفتحة مع الانسانية .. وعندما يتوقف التاريخ عن الكتابة تبدأ الامة الكلام بلسان الشعر .

ولست واجدا في حديث الباحثين من مختلف الكتاب أو المؤرخين أي صدى في الدراسات الادبية المسؤولة ، ذات الاهتمامات العلمية ، نقدية أو تحليلية ، ولا يمكن أن يجد هذا الصدى أي موضع لنفسه فيها ، وبالاخص صيفهم حول البداوة والحضارة . وما يترتب عليها من الفروق الفردية أو الجماعية في الخلقة والخلق أو النشاط أو الذكاء ، فحجم العملية الشعرية لا يتأثر ببيئة ولا يتفاوت في حدود الجودة والاتقان يوحي من زمان أو مكان . فالحضارة تضيق والشعر يتسع ، وقد تتسع الحضارة ، والشعر يضيق ، مبدأ أقره علماؤنا من قبل ، فالعقلية العربية في العملية الشعرية واحدة ولا تقبل التجزئة في الامة الواحدة الا بمقدار ما أعطت المدينة لشاعرها من أداة يبدو ظاهرها مغايرا بعض الشيء لاداة الشاعر الموغل في البادية ، والمغرب في أعماق الصحراء . ويظل الجوهر متحدا والفكر واحدا في كل الاحوال . حقا تبدو على سيماء أمية بن أبي الصلت ملامح نبوة مزعومة الا أنها في الوقت نفسه تعلو سماء لبيد ابن ربيعة الشاعر البدوي ، أو أي شاعر مثلهما يسكن وادي الرافدين ، تنبسط بأرضه العربية الى الشام وسيناء

حتى أرض الكنانة ٠ ان أية ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية وحتى الظواهر العلمية ، يمكن أن تدرس في ضوء التحديات الطبيعية والمناخية ، بل لا يمكن أن تدرس في معزل عن ذلك الا الشعر ، فليس لانواء الطبيعة ولا ضغوطها المتباينة ولا شمسها المحرقة ولا غناها ولا فقرها ، أية فاعلية في القدرة الالهامية أو نمط الشعر ومقداره وقوة أسره ٠ ان أمرا واحدا يظل عاملا في فاعليته وزخمه ، يغني الشعر ، ويثري عطاءه المادي ٠٠ انه الانسان العربي عبر تاريخه البعيد وحاضره ومستقبله ، هو الصانع الوحيد ، يمتزج بأرضه ومناخه ، وبالطبيعة المتلونة الممتدة من صحارى قلب الجزيرة وسيناء ذات المزاج الثقيل الى أطراف اليمن السعيد وحتى البساط الاخضر الممتد من أرض السواد وأشجار الارز ودلتا النيل ٠

أما الجبل والنهر والبادية والمدن والحيوان من ناقة وجمل وفرس ، فانها تتحول الى اشارات ورموز ذات دلالات يستنشق منها الشاعر ملء رئتيه ثم يتمثله في دمه ، ويمرره عبر قنوات حسه المرهف ووجدانه النابض وخياله الواسع ٠ وان النظر في العوالم الشعرية يكون في درجة من البعد واختراق السجف بحيث يتجاوز الباحث حدود العالم الواقعي الملتصق بالشاعر ، والذي يتناول الشاعر منه خاماته وأوليات عمله ليذهب الى العالم الثاني المنشود ، كما يفعل علماء الفضاء اليوم ، وهم يجمعون من باطن الارض مواد مركبتهم الفضائية لتنطلق عبر الاثير الى عوالم جديدة ٠ فالشاعر القديم صانع قدير ، فمن هذه المواد الاولية التي يعمل على تجميعها وتصنيعها ، تخرج من بين يديه صورة وفكرة وثقافة وحياة ٠٠ وها هنا موضع الاعجاز في الشعر الجاهلي ٠٠ أن تصبح الناقة والجمل والفرس وحجارة الطل وخيمة القبيلة ودرعها وسيفها ورمحها وكل جُرم صغير أو كبير من أجرام السماء والارض ، تتحول الى حياة وثقافة وفكرة ٠ فلو لم تكن هذه الخامات هي الحيثيات التي منها يشيد الشاعر قصوره وقلاعه وأسوار مدنه الكبيرة ، فمن أين يأتي بالمواد الاولية المطلوبة ، وهذا هو عين الالتزام الذي ننادي به اليوم ، وهو أيضا الاعجاز الذي نفتخر به ، ألم نقل عن القرآن الكريم بأن من وجوه اعجازه أنه نزل بلغة العرب من نفس معانيهم وأخيلتهم ومكونات ثقافتهم وتاريخهم وما يحيط بهم ، ثم تحداهم أن يأتوا بمثله ، فوقفوا مندهشين ، وهم من هم لغة وبلاغة ، تتوزعهم عوامل الضعف والهوان تجاه هذا الكلام الجليل المعجز ، ولو فتشت في أوليات مواده لوجدتها حديثا عن حياتهم وحياة حيوانهم : بقرة أو ناقة أو فرس ، ونباتهم وأرضهم وسمائهم وقصصهم وأساطيرهم وكانوا يعرفونها ويسمعون عنها من آبائهم ، ثم في الشرائع الاسلامية الجديدة التي هي قلب الدين الجديد وسر عظمته وسيرورته ٠ والشعر الجاهلي يتناول بلغته وموسيقاه هذه الخامات ، وكذلك شرائعه الوثنية وشعائره الرمزية في المروءة والكرم والشجاعة والخمرة ٠ ومن هنا ظهرت نظرية الكتاب والباحثين الاسلاميين في الاساليب والافكار السهلة الممتنعة ، فجميع ما في العالم الخارجي من مظاهر الكون والطبيعة والجماد والحيوان والبشر في امتزاج غريب مع الابعاد الزمنية الثلاثة والمكان وثقافة الامة بكل صورها وأشكالها ، بحسب تفسير العلماء الانثربولوجيين للثقافة ، يتكامل في العقل البناء المثالي للشعر ، وتتوفر في اليد المحصلة العملية له ٠

ومما يلاحظ في الشعر الجاهلي شدة التصاقه بمظاهر الكون والطبيعة وبالجماد أيضا ٠ أما الطبيعة فمنها المتحرك ومنها الساكن الصامت ٠ وأقرب مظاهر الحياة اليه هو الحيوان ، الناقة والجمل والفرس والكلب والظبية والطير وحيوان الوحش ، الثور والبقر والذئب ، ومنها مخلوقات أسطورية كالسعلاة والغول وعنقاء مغرب ، واثيرية كالارواح والجن والشياطين ٠ أما الجماد فتكاد كل ظاهرية أو كونية يكون لها موضع في الشعر الجاهلي : مسايل المياه ومجاريها ومساقطها والنهران والبحار ، والوديان والجبال والسهول والهضاب والرمال والحصى والحجارة ، حتى الحجارة المنصوبة في أعماق الصحراء (الصوى) وبقايا الطلول وآثار المدن الصغيرة الراحلة ٠ ويأتي السؤال : لماذا هذا الاندماج والامتزاج ؟ انه العالم القديم ، يتعاون كله من أجل الوصول الى اكتشاف السر في حقيقته الغامضة ٠ انه يبحث عن نفسه الغائبة ، وهو يبحث عنها في كل زاوية من زوايا الحياة والطبيعة والكون ٠

وقبل أن تتحول الآلهة الى رموز في شعر العصر الجاهلي ، كانت حقيقة ووجودا ملموسا ، وقبل أن تكبر الذات البشرية على جميع الذوات ، كانت تستمد نموها وتنشد كمالها من الذوات المحيطة بها ٠ فلا غرابة في أن تقود الناقة عصرا بكامله ، طالما أن العلم استسلم لحقيقة أغرب منها ، فلقد قادت الغربان والكلاب والافاعي ، بل بغايا النساء مجتمعات انسانية عمرا طويلا ٠ وربما كان خضوع مجتمع واحد لظاهرة واحدة شيئا محتملا ، لكن الذي لا يحتمل ويدعو الى التمزق ، أن يتحول المجتمع الكبير الى مجتمعات صغيرة تسعى بعضها وراء حجارة منحوتة من جبل تقدسه ، وربما كانت غير منحوتة ، أو حول شجرة وربما سارت قبائل بأكملها وراء جمل أسود أجرب تؤلهه ، بينما ظلت قبائل أخرى تجري وراء كوكب مجهول يقطع

عرض السماء ، مساء كل يوم ، والناس حيارى ضائعين تحت نوره يرمقونه في خضوع أو استسلام روحي غريب ، كما نفعل نحن اليوم ، نرفع أبصارنا في حالة تناقض الوضع الانساني القديم ، بحثا وراء الكوكب نفسه ، باصرار وتحدي ، فينعكس هذا الشيء في اشعار معاصرينا ، وللسبب نفسه كانت ثورة الاسلام يوم وضعت أحدث الحلول العلمية للمشكلات الانسانية المستعصية يومئذ على كل حل .

والذي يؤخذ على المشتغلين في حقل الثقافة العربية ، أنهم لدى تعرضهم لطبيعة العربي الجاهلي ومدى ايغاله في الثقافة والفكر ومظاهر الحضارة وسمات المدنية ، يصدرون عن حس غير سليم ، فيحكمون منطلقين من دائرة بحث تضيق بهم حتى لا تتجاوز رقعة نجد والحجاز قبيل الاسلام معتمدين كتب الكلاسيكيين العرب الذين بحثوا في هذه البقعة من بلاد العرب الممتدة الارجاء شرقا وغربا ، مستنطقين شعر الحجازيين والنجديين البدو حملة الفكر الوثني الحافل بضروب الميثولوجيا النابعة من طبيعة هذه المرحلة الانسانية ومن هنا كانت أوهام « أوليري » و « لامنس » وابن خلدون وحتى الجاحظ نفسه .ان خلط العربي الوثني في الجاهلية بالعربي الموحد في الاسلام خطأ ترفضه الاصول الاولية لمنطق البحث العلمي ، وان اغفال حضارة الجنوب بكل ألوانها ، بما فيها التغاضي عن أقدم سد ركامي في العالم العربي ، وربما الشرق ، وهو سد مأرب ، يضع علمية البحث وصدق نتائجه موضع نظر ، وقد يخرج به عن الصواب . هذا ولا نريد أن نضيف الى الامثلة حضارة الحيرة ، وانجازات الغساسنة داخل اقطاعياتهم الزراعية ونجاحات التدمريين في أطر تنظيماتهم التجارية .

واذا قيست العقلية العربية بمحتويات المدونات الشعرية وقصص البطولة لملاحم أيامهم ، فماذا نفعل بالعاديات التي اكتشفت في مواضع متنوعة من أرضهم دلت على معرفتهم بكل أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية : شرائع .. مسكوكات .. عقود المعاملات التجارية .. الدخول في اتفاقيات سياسية وعسكرية مع العالم . ان العقلية البشرية العربية تقاس بهذه المظاهر المادية المكتشفة ، لا بما يقوله لامنس « بأن العربي ثائر على كل سلطة تحاول أن تحدد من حريته ولو كانت في مصلحته وهي السر وراء سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء من تاريخ العرب » . اذن بماذا يفسر لامنس تاريخ الحروب الاهلية التي خاضها الغرب ومنهم قومه ؟ وماذا تعني المجازر الدموية التي نفذت على الشعب الفرنسي ابان نضجه السياسي وبوحي من فلسفة ثورته وعلى يد مفكريه وقادة هذه الثورة ؟ ولو أننا درسنا تاريخ الاثينيين والاسبارطيين في ضوء ملاحمهم الشعرية ، لكان حكمنا عليهم بأنهم همج ليست فيهم ذرة دم حضاري . هذا مع العلم بأنه يوم كان أبناء هذه المنطقة يكتبون ، كان أبناء العالم الغربي يتخبطون في ظلام أميتهم . ثم شاعت الوشائج من تجارة وغيرها أن تحمل اليهم الحرف المضيء لتزيح عنهم أستار ظلمتهم . ان التاريخ بأنواعه يكتب بعيدا عن أية مؤثرات شعرية ، لانه وثيقة علمية مادية ، والشعر حوار الامة محمول في صدورها .. الشعر سيرة ذاتية للتاريخ ، وليس التاريخ نفسه .. التاريخ جسد والشعر روح ، والجسد محدود المادة ومحدود الزمان والمكان ، والشعر امتداد أثيري واسع وكبير ، ليس وراء امتداده امتداد .

وقديما قالوا : الشعر ديوان العرب ، يعنون بذلك انه سجل سجلت فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وعقليتهم ، وان شئت فقل انهم سجلوا فيه أنفسهم . ولو انهم نظروا حقا الى كلمة ديوان بما تعنيه من سجل للاخلاق والعادات والديانات والعقليات والثقافات لاعتنينا به، لكن كان النظر اليه كمادة لتقييم اللغة أو تفسير لفظة وردت في القرآن والحديث ، أو كأنه طرفة ، فلم ينل العناية التي نالها الحديث ، لاسباب تخرج بنا عن هذا البحث . ولم تصل الينا المحاولات الاولية للشعر لان مروياتهم انصبت على المحاولات الناضجة ، فضاعت معالم كثيرة كان بالامكان الانتفاع منها ، فضاعت معالم كثيرة للتاريخ والثقافة والانسان العربي .

ونظرة عامة الى الشعر الذي وصل الينا في الجاهلية — وتاريخ أقدمه ١٥٠ سنة قبل بعثة الرسول ، تدلنا على أنه ليس متنوع الموضوعات كثيرا ، ولا غزير المعاني ، فمما يروى لنا من القصائد موسيقاه واحدة ، يوقع على نغمة واحدة ، والتشابيه والاستعارات تكرر غالبا في أكثر القصائد : قلة الابتكار وقلة التنوع . ويريد أحمد أمين بكلامه هذا أن يقول : لو توفرت الاوليات لعرفنا مراحل تطور الشعر الجاهلي ، كما عرفنا مراحل تطور الشعر الاسلامي ، لان الشعر الجاهلي يمثل عالما رائدا ، كان قائما بنفسه ، انتهى بظهور عالم جديد . كيف بدأ الشعر في العالم الوثني ؟ وكيف زال هذا المجد الدنيوي ؟ أمران مجهولان ! لكن كيف بدأ الشعر في العالم الاسلامي ؟ وكيف ظهر هذا المجد الديني وبرز ؟ امران واضحان كل الوضوح . وهذا مثال آخر : يتذكر الانسان طفولته كمن يحاول أن يستعيد الى ذاكرته حلما غامضا لامس جفونه مسرعا ، وربما ظفرت الذاكرة ببعض خيوط هذا الحلم ، لكنه في شيخوخته يتحدث عن صباه وشبابه بكل وضوح . هذا شأننا مع الشعر الجاهلي ، وربما عرف الانسان شيئا لا بأس به عن طفولته باستقراء الاحداث واستنطاق العاديات وبالتساؤلات والاستفسارات ، توجه الى الكبار والآخرين ممن حوله . فنحن نسأل عن طفولة ثقافتنا أشعارنا ، كما

يبحث في الجذور عن الاصول ، فانها تستبقي لنفسها بعضا منها ، وننفك غوامض الاساطير ومعميات الامثال ثم ننظر الى مؤثرات خارجية قد نجد فيها خلاصنا من عناء البحث عن هذه الاصول الضائعة · اننا نفعل ذلك لكي نقول للانسانية هاكم أوليتنا ضموها الى أوليتكم لتعرفوا تطور العلم والفكر الانساني ، فقد ظهر أن طفولة العالم متشابهة وأدوارها واحدة ، لان الظروف الارضية والكونية واحدة · والعرب أمة كبيرة ، فاعلة ، خلاقة ، شأن الامم الكبيرة على ظهر هذا الكوكب ·

وتقسيم الامم الى طبقات ـ وذلك من ناحية القدم والتقدم في العربية ـ هو تقسيم لا نجد له ذكرا في الكتب السماوية أو الموارد اليهودية ، ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينة أو السريانية ، ويظهر أنه تقسيم عربي خالص نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الاسلام ، فلم تبق منهم سوى ذكريات ، وبين العرب الباقين ، وهم اما من عدنان أو من قحطان ·

واذن من الشعر استنبط الباحثون والمؤرخون هذه الاصول الطبقية للعرب · بائدة وعاربة ومستعربة ، الشعر هو الذي قال بذلك ، وليس وراء ذلك نقش ولا كتابة ولا عادية من العاديات ، ولا في الكتب السماوية القديمة ·· ومن يحمل مجد الامة وامتدادها وانسابها غير أبنائها ، ومن أحسن من الشعراء حملا لهذه الامانة ، يتوارثونها حاملين اياها في صدورهم أناشيد شعب برمته عبر أجيال سحيقة في القدم ولن يقلل من أمر هذه الاصول أو الطبقات أنها لم تذكر في كتاب سماوي أو نقش ، فليس في هذه الكتب أنساب اليونان ولا طبقات الفرس أو الاصول الآرية ، ومع ذلك فلن ينكر أحد على هذه الامم أصولها الممتدة في ضمير الزمن · وليست هذه الاصول فقط جاءت غفلا في التوراة · بل التوراة لا علم لها بعاد وقوم عاد ولا ثمود وهود وصالح ، انما هي أحاديث عربية ، تحدث بها الجاهليون وليس لها ذكر في كتب يهود ·

ولا نريد أن نخوض في مسألة جانبية ، ان كانت هذه الاحاديث متقدمة على التوراة فلم تدون ، أو أنها متأخرة جدا عنها ، عاشت بعد الميلاد في الغالب ، لسبب وجيه جدا هو أن العبرانيين دونوا كل ما له علاقة بهم · والمهم لدينا أن نعالج ماذكروه من أن الكتب الكلاسيكية العربية الاسلامية هي أول من تكلم بهذا التاريخ ، وهذا التوزيع الطبقي للعرب ، وهذه الثقافة القديمة · والسؤال الصعب الذي نقف ازاءه حائرين : من أين جاء حديث العلماء في هذه الكتب التي تفسر الآيات الكريمة التي ورد الحديث حولها مقتضبا ؟ انما جاء اقتضابها لان الناس يومئذ كانوا على المام واف بها · واذا لم يكن في يد العربي يومئذ كتاب ، ففي يده ما هو أشد سحرا من الكتاب · في يده الشعر الذي عن طريقه كان يتوارث كل هذه المعلومات التاريخية التي اتفقنا على انها تسمو على واقعها برؤيتها الشعرية · ومن الغريب أن نجد من ينكر على الشعر الجاهلي حفظه لهذه المعلومات ، ثم يعود فيستشهد بباقة طيبة من الابيات الشعرية التي تضمنت الحديث عن هذه الاقوام البائدة ، والاسر المنقرضة ·

لقد جاء هذا الحديث الشعري الموغل في أعماق التاريخ محمولا في أوعية الشعر المختلفة ، مترجما الى مختلف اللهجات العربية ، حتى استقر في اخر لهجة أو لغة عرفها العرب في القرن الخامس للميلاد، ولا تزال مألوفة الى اليوم ، بفعل ما استنبط لها من العلوم ، لتضمن لها عدم تطورها مع مظاهر الحياة والتطور ، فتمت المحافظة عليها من جهة ، ووقعت الخسائر في جهة أخرى ، وهو ما نسعى لترميمه الان ، واعادة وجه الحياة المشرق ونبضات الابداع فيها فالشعر وأيام العرب والمأثور الشعبي من القصص والروايات والامثال ، حفظت هذا التراث ، ثم غاب عن الجمهور وعاد مرة أخرى مشوشا مضطربا في كتب المفسرين والمحدثين ، وأرباب الثقافة العربية المتنوعة ·

وبالاجمال فان المكونات الاولى للشعر الجاهلي كثيرة متعددة ، وأخص بالذكر منها ظاهرتين :

أ ـ يتناول الشاعر نقطة صغيرة يكثفها في صورة رمز موح خاطف من تاريخ البشر الذين سكنوا بلاد العرب وجودهم الروحي داخل شبه الجزيرة وتحركهم في أرجائها وتعاطيهم وتعاملهم معها ، ومع أنفسهم ، وانقسامهم وانقسام شعوبهم وقبائلهم وحروبهم وعباداتهم ، واندثار أمة منهم ، وظهور أخرى ،وارتقائهم في الحضارة، وهبوطهم في سلم الحياة بعد نكسة أو انهيار أو دمار ، وهذه أخبار اصطلح العرب على تسميتها « قصص العرب البائدة » · وما بقي من الشعر الجاهلي يعطي الماما بسيطا بها وبشخوصها ومواضعها أو أسماء الوقعات والاماكن ، ولا يعدم الشاعر من فكرة ينتزعها أو موعظة تتردد في ثنايا الاسطورة ، لكنها في واقعها ذات طابع ديني جديد لانها مكتوبة ومنقولة بمؤثرات اسلامية ، وانها افتقدت الاصل الوضعي ، أي اللغوي ، ثم تهدمت أو تحللت في أسلوب القصاصين ومصنفي الكتب في العصور الوسطى ، وبخاصة بعد زوال الامويين ، حيث لم ترد من العلماء والرواة الاوائل الا اشارات واهية حولها ، بعكس الايام المنقولة الينا بلغة علمائها ورواتها الاوائل الذين امتدت أسانيدهم الى العصر الجاهلي ، ومع ذلك أصابت اللغة والمحتوى

تغيرات كبيرة ، وهي مسألة طبيعية حيث يصيب التطور كل مظاهر الحياة الاجتماعية فيتطور المأثور الشعبي ليناسب شكل الحياة الجديدة ، وحتى الاعمال المثقفة تتطور الى مأثورات شعبية ، كالذي حصل لروايات شكسبير ولحياة جان دارك ، وان سيرة عنترة ، وهي وثنية لا جدال ، سحبت عليها غلالة زاهية من الافكار الاسلامية ٠

واننا نرى في هذه الاساطير أشكالا ملحمية ضائعة ، فسقط الشكل الفني المتطور ، وهو وجهها الشعري ، وبقي الجذر الاسطوري ، خلاف ما في يدنا من الملاحم السامية التي ضاعت أصولها الاسطورية ، وهي مسألة أهون من فاجعتنا بأدبنا العربي ، وقد التفت صمويل هنري هوك الى هذه الظاهرة فأخذ يصنفها تصنيفا علميا واضحا ، بأن أجرى لها عملية فرز دقيقة ، فرد أصل كل ملحمة بابلية الى جذرها الاسطوري السومري ناظرا في ألواح الملاحم وما وقع عليه من ألواح الاساطير ٠

واذن فقد اندثرت قصص العرب ، وغاب عنها وجهها الملحمي ، ولم يحفظ الفلكلور الا بقايا أو جذور القصة ، وهو أصلها الاسطوري ، وضاع وجهها الشعري المنشود ٠ ولا نعرف الاسباب المختفية وراء هذا الضياع ، وان كنا نقرر ، وليس ظنا ، انها الكتابة ومن ثم الاسلام ٠ فانعدام التدوين أو ندرته وراء اختفاء المدونات ، ولو كانت كثيرة لوصل بعضها ، ومنع رواية جزء أو قسم من الشعر الجاهلي وراء عدم انتشاره ، وهما سببان يعملان بقوة ٠

وهكذا لم يبق لدينا من الاساطير البائدة الا ترجمات رديئة جدا من لغات عربية قديمة في عهود وثنية الى لهجات شعبية في عصور اسلامية ٠ وكان أجدادنا الساميون أسعد حظا منا في حصولهم على الاساطير السومرية أصول ملاحمهم البابلية ، ثم خلود أدبهم الى يومنا ، أما أجدادنا العرب فقد ضيعنا ملاحمهم الاولى ، وكذلك ملاحم الايام الاخيرة ، وضيعنا معها أساطيرها ، وظلت تتردد في الشعر الجاهلي مهزوزة الصورة وغامضة ، وتلوح من خلال كلمات الشاعر كأنها أصداء في ذهنه ، كالذي يسمعه عن عاد وثمود وطسم وجديس ٠

ولما كنت قد تطرقت الى طسم وجديس فلاسترسل قليلا ،متخذا منهما مثالا لاسلوبي في عمل هذه الدراسة ، وكذلك في معرفة المكونات البدائية للشعر الجاهلي ٠ تقول الاساطير : ان طسما وجديسا قبيلان عظيمان ، يقال لملكهما عمليق ، رجل ينتمي الى جنس من البشر كانوا يسكنون الارض قبلنا ، يقال لهم العماليق ٠ وهذا النوع من الثقافة البدائية موجود لدى جميع الشعوب البشرية ، حيث يعتقدون أن أرض بلادهم ، كان يسكنها قبلهم أقوام طوال ، عماليق ٠ فهذه قبائل السيوكس مثلا يعتقدون أن بلادهم كانت موطنا لعمالقة ضخام ، وهو نفس معتقد العرب القدماء ٠ أليس العملاق هاوكاه هو نفسه عوج بن عنق أو عناق الذي يستطيع في زعمهم أن يعبر أكبر الانهار وأعلى الاشجار في خطوة واحدة ٠ وينتمي عمليق الى هذا الاصل ٠ ويوجد في التوراة من يقال لهم العناقيم لعل الاسرائيليين أدخلوها في أسفارهم متأثرين بالتاريخ العربي القديم ٠

وتروى عن عوج بن عناق هذا ، كما تروى عن غيره من العماليق الذين سكنوا أرض العرب وغيرها من بلاد الدنيا ، أعاجيب ، فذكروا أنهم كانوا يجتازون السهول العظيمة بخطوات قليلة ، ويعبرون أعظم الانهار ، ويتسلقون أعلى الجبال ٠ وذكروا عن أم عوج أنها كانت هائلة مخيفة ، كل أصبع من أصابعها ثلاثة أذرع في عرض ذراعين وفي رأس كل اصبع ظفران حديديان مثل منجلين ٠ وكان موضع جلوسها جريبا من الارض ، وهي أول من بغى على الارض وعمل الفجور والسحر وجاهر بالمعاصي ، فأرسل الله عليها أسودا كالفيلة وذئابا كالابل ونسورا كالحمر فقتلوها ، وهذا هو التاثير الاسلامي في اعادة كتابة هذه القصص ، فقد كان الغرض هو طمس معالم الاسطورة وتحويلها في صالح الفكر الواقعي الجديد ٠ فمن العسير على مثلي أن يصل الى الجذور وقد علتها ركامات العصور ٠ لكنني استطعت عن طريق الشعر أن أصل الى جزء من هذه السمات المختفية ٠ فلقد وقعت صدفة على وجوه التقاء ، أشبه ما تكون بدورة ملحمية لتقاليد شعرية استوطنت المنطقة العربية ، توارثها الموهوبون على مدى الدهور ٠ ولعل أبرز وجوه الالتقاء هي (قصة الاغتصاب) على حد تعبير ساندرز و (حق السيد المطاع) كما يطلق عليها المستشرقون وبالنسبة لملاحم أيام العرب ، حيث كانت للملك أو السيد العظيم من التقديس والمنزلة ، أن كانوا يقدمون لهم كل عذراء تزف الى عريسها ، فينال منها الملك ويفتضها في الليلة الاولى ، وتزف بعد ذلك الى أن وقعوا على من يصارعه أو يقارعه ، عندما وقعوا على أنكيدو ، الانسان المتوحش في الصحارى والقفار ، يعيش مع الحيوانات البرية والوحوش ٠ وتمضي القصة في وصف الحالة الفظيعة التي كان جلجامش بموجبها يمارس حكمه وعاداته في اغتصاب عذارى شعبه على أنهن حق مشاع له ، حتى استطاعت احدى بغايا المعبد أن تتقرب من أنكيدو لتنقذ حرائر النساء من هذه العبودية وكانت البغايا مقدسات في المعبد السومري ، ومثل هذا المظهر ــ أي البغــايا ــ يلوح لنا في يوم حوزة من أيام العرب ، حيث يمتلك هاشم بن حرملة بغيا يقال لها أسماء

المرية ، فدعاها معاوية بن عمرو أخو الخنساء الشاعرة لنفسه ، فيقتله هاشم فتقع الحرب وتبدأ قصائد الشعر . وفي أخبار الاسلام في أول عهده ــ كما يذكر ابن حبيب في المحبر ــ انه كانت في بيوت الاصنام بغايا كانت سببا في قيام ثورة .

واما قصة الاغتصاب أو حق السيد المطاع بحسب تعبير نكلسن ، فهي تتجلى في يومين من أيام العرب : يوم اليمامة (طسم وجديس) ويوم الاوس والخزرج (الانصار قبل أن يكونوا أنصارا) . أما يوم اليمامة فان ملك طسم وجديس وعمليق بن سام كان يفعل مثل فعلة جلجامش ، فهيجت النساء ، بصورة تراجيدية ، رجلا عظيما من القوم يدعى الاسود بن عفار ، فقتل الملك . وأما أيام الاوس والخزرج فهي تبدأ بقصة استيلاء أحد الملوك على يثرب ، فكان يمارس نفس العادة الى أن خرجت على أحد عظماء القوم أخته ملطخة بدمائها من قبل ومن دبر ، كانها بغي ، متعمدة لتوحي له بهذا المعنى ، كما فعلت أخت الاسود بن عفار . فقال لها انك أتيت أمرا منكرا . فقالت له : ان ما فعل بي وما يفعل بعذارى قومك كل ليلة لافظع . فثار وقتل الملك والتجأ الى الشام .. ثم بدأت أيام الاوس والخزرج .

وكذلك يوم اليمامة ، وبنفس الاسلوب تبدأ ألواح ملحمة جلجامش . والملاحظ أن البغي في جميع هذه الملاحم تؤدي دورها سواء بطريق مباشر جدا أو بالقاء ظلال باهتة على البداية ، كما في اليومين الاخرين . وفي الامكان وضع جدول مقارنات بين جلجامش وأحد يومي العرب المذكورين ، لتتوضح الدورة الثانية لهذه الملاحم العربية ، مع التنبيه على أن الملحمة الاولى متكاملة ، ويوم اليمامة مفقود ، ليس لنا منه سوى شذرات في الكتب .

ولا أريد أن أطيل فاذكر كل مظاهر الثقافة التاريخية في الشعر الجاهلي وارتباطها جميعا في أدابنا القديمة ، فهذا مالا يتسع الموضع له هنا ، لكنني أعطي تلميحا فقط الى ما ذكره هيرودوتس في تاريخه عن قصة ثورة وقعت في بابل ، تشبه في تفصيلاتها قصة الزباء وانتقام الوزير قصير الذي جدع أنفه ودخل المدينة بجيش عرمرم أخفاه في جواليق وحمله على ظهور الابل ، يعيد الى الاذهان قصة حصار طروادة .

ب ــ وأما الظاهرة الثانية في المكونات الثقافية للشاعر الجاهلي فهي تنبعث من عيادة هذه الرموز المتجلية في الشعائر الوثنية والمتمثلة في الشجاعة والمروءة والوفاء والكرم ونصرة الجار والحليف والضعيف والعفو عند الظفر والمقدرة واتلاف المال في الخمرة ونحر الابل وعقرها وعترها وما يترتب على كل شعيرة من هذه الشعائر التي انتهت الى الشاعر الجاهلي رموزا دخلت شعره معنى ساميا رفع به قوما وحط اخرين .

ولم أهتد للان الى وجود مادي لهذه الشعائر ، ولا عثرت لها على أثر في النقوش والكتابات والمخربشات القديمة ولا استطعت أن أقع على أصنامها ، ولست يائسا من هذا ولا مبتئسا ، لان أفاق العلم تنفرج في المستقبل من جديد يحمل البشرى لارباب الدراسات الجديدة . وقد سرني أن أجد بين مئات الاصنام المكتشفة عن طريق النقوش ، وان لم يظهر وجوده المادي ، صنما يقال له (حلفنن) ظهر اسمه في النقوش العربية الجاهلية ، وقد فسرت الكلمة بالحلف أو الحليف ، وذكرت في جملة نصوص تتعلق بحبس أموال أو عقود ، فلاحظ الباحثون أن أصحابها استعانوا بهذا الاله لانزال النقمة والعذاب وأشد الجزاء بكل من يحاول أن يبدل تلك العقود والنصوص ، أو يتجرأ فيستولي على الاموال والحبوس المقررة ، كما رجوا الاله ان يشملهم هم وجماعتهم برحمته ولطفه وكرمه لاخلاصهم له وفنائهم في حبه . وقد ورد هذا المعنى في جملة من أيام العرب وأشعارهم ، منها أيام بكر وتغلب حيث اصطلح الحيان ، فجعل الحارث بن حلزة اليشكري يذكر القوم بحلفهم ذي المجاز ، وما أخذوه على أنفسهم من يمين أو قسم ، وما ارتبطوا به من الكفلاء ، بل حتى المهارق التي وقعوا عليها ، فقال :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

وورد بعد ذلك في معلقة زهير بعد العهود والمواثيق التي أبرمت ، فجعل الله شاهدا على كل خارج أو خائن لهذا العهد في أيام عبس وذبيان :

فمن مبلغ الاحلاف عني رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وهذا باب توسعت به ، وسأسوق لكم مثلا واحدا من مجموعة مشاهداتي الفكرية لبعض مظاهر الشعر الجاهلي ،

وهي شعيرة الكرم الدينية الوثنية في العصر الجاهلي ·
لم تظهر لهذه الشعيرة أصول عباداتها ، لكن رموزها الشعرية وبقايا الوثنية ظلت قوية في نفوس الجاهلين ، فرجل مثل حاتم الطائي يمارس مثل هذه الطقوس في رهبانية غريبة ، يكون بالضرورة مدفوعا بهاجس ديني قوي، لانعلم ان كان حاتم يعرف أصول هذا الهاجس الديني الوثني أم انه يعبد رموزا · لذلك أولع الجاهلي الوثني بالنحر والعقر كشعيرة ملازمة لهذا الطقس الوثني ، اندرجت تقليدا وغفل عن أصلها ، ولذلك أيضا يقرن الكرم بكثرة النحر ، وتروى عنه القصص الغريبة ، فكان الرجلان في الجاهلية يتباريان في الجود والسخاء فيعقر هذا وهذا من ابله حتى يعجز صاحبه · وفي حديث ابن عباس : لا تأكلوا من تعاقر الاعراب ، فاني لا آمن ان يكون مما أهل به لغير الله · وفسر ابن الاثير هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه في تباريهم على العقر ، مع أمثلة لرجال مسلمين يمارسون هذه الطقوس القديمة ، فنهى الاسلام عنها : لا عقر في الاسلام ·

وهذا المعنى يظهر كثيرا في شعرهم · وظل تأثيره الى ما بعد الاسلام ·

قال زهير بن أبي سلمى :

بسط البيوت لكي تكون مظنة
من حيث توضع جفنة المسترفد

وقال المسيب بن علس :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم
متفرق ليحل بالاوزاع

وقال في الاسلام مهيار الديلمي يصف الاوائل :

نصبوا بقارعة الطريق قبابهم
يتسابقون بها الى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه
حب القرى حطبا على النيران

وعلى هذا المعنى قول حاتم :

وأبرز قدوري في الفضاء قليلها
يرى غير مظنون بها وكثيرها

وقام الهرم بن امرىء القيس على قبر رجل كريم فقال :

لقد ضمت الارزاء منك مرزءا
عظيم رماد النار مشترك القدر
حليما اذا ما الحلم كان حزامة
وقورا اذا كان الوقوف على الجمر

وهذا البيت وبيت الهدم قبله يفسران لي مسألة القدور الغامضة التي حرص حجر أبو امرىء القيس على ايصالها الى ابنه بعد مقتله ، وفسرت لي أيضا ظاهرة القدور التي ظل لبيد ابن ربيعة الشاعر يخرجها كل يوم عاصف فيه ريح عظيمة ، فينحر ويطعم ليفي بشعيرة تتصل بالكرم هي المروءة ، فكان لبيد ينحر كل ما يملك حتى يفقر ، فينهض الرجال وأولو الامر منهم يصرخون : أعينوا لبيدا على مروءته · فتتوالى عليه النعم · ولما مات لبيد ، أوصى أن تحمل هذه القدور الى المساجد الاسلامية · وكان لبيد متكهنا في الجاهلية ، منقطعا للعبادة في الاسلام ، وان كان في شخصيته غموض غريب ·

وتتصل بشعيرة الكرم ، شعيرة الفصد التي حرمها الاسلام أيضا ، وهو دم يجعل في الامعاء بعد فصده ، ثم يشوى ويقدم للضيف على أنه شرف عظيم له · قال عبدالله ابن عنمة ، وهي مفضلية :

فباتت تعشيه الفصيد وأصبحت
يفزع من هول الجنان فوادها

وتظهر هذه الشعيرة التي عرفها العبرانيون أيضا ، في يوم أسر حاتم الطائي ، يوم طلبت منه بعض النسوة أن يفصد لها نافتها ، ولم يكن من مذهبه القصد بل كان يؤدي للكرم شعائره المشهورة بالنحر والعقر والعتر ونحوها · فقال للنسوة من قصيدة في ديوانه :

كذلك فصدي ان سألت مطيتي
دم الجوف اذ كل الفصاد وخيم

ولشعيرة الكرم ثالوث مقدس ظل شعراء الجاهلية يحلفون به ، تتصل بتقديس الملح والرماد والنار ، وهي أساس الكرم · قال أحد بني شيبان في يوم ذي قار :

حلفت بالملح والرماد وبالنار تسلم الحلقه

وأراد بالحلقة دروع النعمان بن المنذر في يوم ذي قار
وقال آخر في يوم اللوى :

لا يبعد الله رب الرماد والملح ما ولدت خالده
هم المطعمو الضيف شحم السنام والقاتلو الليلة البارده
هم يكسرون صدور الرماح في الخيل تطرد أو طارده
يذكرني حسن آلائهم تفع ولهانة فاقده
فان يكن القتل أفناهم فللموت ما تلد الوالده

واذا مات الكريم ، ارتفعت الدعوات ليسقي الاله قبره بالغوادي ، وهنا ارتباط رمزي بشعيرة أخرى ·

الكلمة المسؤولة

سعيد الجزائري

دخل الفارس العربي الشاعر «حسان بن ثابت» مدينة دمشق ، وقد لفها مساؤها الجميل بفتنة ساحرة ، يهواها سكانها وضيوفها ، ويقلبون الطرف بين قاسيونها الشامخ الابيض ، المطل عليها وعلى غوطتيها الحانيتين الخضراوين ، وبين برداها ، وهو يشق دروبه الزرق ، من دمرها الى قلبها في ساحتها التي تضج ، منذ أن كتب لها قدرها أن تكون أقدم مدينة على وجه هذه الارض ..

وكان الشاعر العربي الفارس ، وما هذه أول رحلة له الى الشام ، يعرفها ، جيدا ، يتعشقها ، بل وكان يذوب في الحنين الى العودة اليها .. كان يتشهى فجرها ، يأتيه معه الهامه ، ويستريح الى أصيلها في الربيع ، يمتع سمعه وبصره مع أغنيات طيوره ، ومع ألوانه ورياحينه .. وقد سئم في البوادي ، الممعنة في البعد ، لفحات الصحارى المغبرة وعصف الرياح الهوج وأزلية المشاهد الرتيبة الجافة التي تجمد في الشاعر مشاعره ، فلا يبدي معها ولا يعيد .. ان عروبة ـ حسان ـ متصلة الجذور بآل غسان . انه شاعر غسان ، كما سماه معروف الارناؤوط في ملحمته الخالدة « سيد قريش » .. وهذه اللوحة عن دمشق وفيها لم ترسمها ريشة الروائي العربي الذي حرك الاحجار وأنطق الجماد ، وانما استوحاها راسمها ، هنا ، من الاسلوب المعلم الذي أبدعه معروف ، فتسابقت الاقلام ، تأخذ به أسلوبا عربيا ، دافق الخير ، يعطي الكلمة العربية بيانها ، ويحفظ لها وعليها سلطانها .

● ● ●

هنا نقف وقوف مع ما جاء من تفسير للادب والكلمة في محاضرتين لاديب وكاتب سوريين .. الاديب هو الشاعر الكبير ، الاستاذ شفيق جبري ، الذي قال :

« الادب ألهية ، ولكنها شريفة ، واذا ما أردنا أن نعرف مبلغ شرفها ، لزمنا أن ننظر الى أفق الادب المديد ، فمتى أدركنا العالم الذي يحيط به الادب علمنا مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه .. أصدق كلام عليه انما هو كلام ـ ده كارت ـ الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث ، يحدثك أشرف رجال القرون الخالية ، ولكنه حديث ، لا يعرض عليك فيه أولئك الشرفاء الا أحاسن أفكارهم .. » .

وكلام طيب ، غير هذا ، عن الادب ، قاله الاستاذ شفيق جبري ، قد نعود اليه ، لما يضمه من فائدة الادب ، ومن الخير الفكري العميم الذي يصيبه الناس من حبه والاهتمام به .. اما الكاتب الكبير فان له ، في محاضرة عن الادب والكلمة ، رأيا آخر قال :

« لا جدوى للكلمة ، ان فيها فتنة ، وانها ذات رنين ولكنها لا تناضل ، انها ألهية جميلة ، ولكن بينها وبين الاخلاص الحقيقي خطوة ، هي أن تعاش ٠٠٠ »

وفي التعقيب على هذا الرأي ، لا في الرد عليه ، يمكن القول ان الكلمة المسؤولة ما قصرت ، أبدا ، في النضال عن ذاتها ، عن سحرها في الاثر الادبي الناجح ، في الشعر العربي ، من قديمه في امرىء القيس تحفز ، مناضلا ، في طلب الثار لابيه ، في عمرو بن كلثوم ، يرتجل قصيدته المناضلة الواصفة ، في المتنبي يتفنن شعره المناضل في تمجيد انتصارات سيف الدولة ، أمير بني حمدان ، على الروم ٠٠ وأحاديث الكلمة العربية التي ناضلت في السلم والحرب ، على مدى أحقاب التاريخ العربي والفتوحات ، في المنابر المتحمسة والكلمات النثرية ، المتدافعة المندفعة ٠٠ ان الكلمة ، في رأيي ، لا تعد جميلة الا اذا كانت مسؤولة ، ولا تكون مسؤولة الا اذا كانت تعاش ، ولا تعاش اذا لم تعبر عن الناس والحياة ، والحياة ملعب هائل كبير ، يسع كل الدنيا ، وتدور فيه رحى المباريات منذ أن دب دبيب الخلق على الارض ـ قابيل ـ كلمة قاتلة ـ هابيل ـ كلمة قتيلة ، ـ حواء ـ القديمة ، أمهما ، كلمة متمردة ، وهكذا تسلسلت وتتسلسل الاحداث كلمات ، بيضا وسودا ٠٠٠ كانت البدء ٠٠ وهي الحب والبغض ، الحقد والثار ، الحرب والسلام ، في الالوان المتناقضة ، المختلفة أو المجتمعة من الناس والحياة ٠٠ كانت البدء ، وستبقى الى نهاية النهايات ، والا ٠٠ كيف عرفنا التاريخ ، وجودنا الاشعار ، وقرأنا الاسفار ؟٠٠ وما هي تلك الخطوة التي رأى الكاتب أنها تفصل بين الجمال في الكلمة وبين العيش مع الكلمة ؟٠٠

ومهما تختلف الآراء ، لدى الادباء والكتاب ، في التفسيرات والتأويلات ، فان الجمال والشرف والنضال بعض ما تضمه معاني الكلمة ، وانهم ، جميعا ، المتفقون على هذا كله ، وتلك آثارهم تدل على وحدة رأيهم في شمول الكلمة ٠

ما دام العالم كله ملاعب للكلمة ، فالكلمات جياد ، وليس كل جواد أصيلا ، ولكن كل جواد يحاول أن يخوض معارك السباق ، والسباق هو الضرب الاول من ضروب النضال ، وما كان النضال الا في سبيل الحياة الافضل ، في سبيل العيش الكريم ٠

● ● ●

من جديد ٠٠ يرقص على الشفاه السؤال القائل :

ـ ما هي تلك الخطوة التي رأى الكاتب أنها تفصل بين الجمال في الكلمة وبين العيش مع الكلمة ؟٠٠

اذا كان الجواد الاصيل هو المجلي ، فان الكلمة الرابحة هي التي ناضلت فضمنت لاصحابها الخلود الصحيح في الادب والفن ، وفي كل ملاعب الحياة ، الهائلة الكبيرة ٠٠ وأصحابها هؤلاء هم الخالدون ٠٠٠ هم الذين يعيشون أجيالهم ، وأجيالا ، بعدهم وبعدهم ، تتوالى ، ويعيشون التاريخ ٠٠ وفي أوائلهم ، في النخبة منهم ، في هذا القرط العربي السوري ، معروف الارناؤوط ، ونعود اليه ، الان ، بعد محاولة عرض خاطف لما أعطاه الاديب والكاتب السوريان من تفسيرات للكلمة ، ومن معان للادب ، وقد وضعه ـ معروف ـ في خدمة الدين والفكر والتاريخ ، في الكلمات الحية المعاشة ، التي قال فيها ، في روايته « سيد قريش » :

« هذه هي القافلة ٠٠

انها تمشي ، في رمال الصحراء ، وادعة مطمئنة ٠٠
وهذا هو ذلك الطفل

لقد أفاء الله عليه الشرف والمجد والتواضع ، والعمل النبيل الصالح ٠

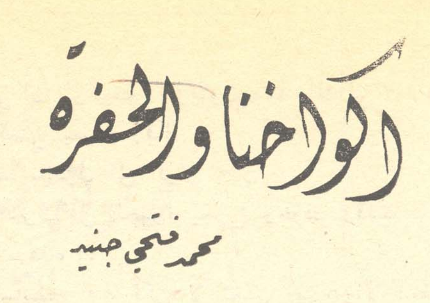
« انظروا ٠٠ هذه هي الشمس
تريق بهاءها على جلال الموكب ، وقد اهتزت الرمال ، تحت هذا الزحف المجيد ٠٠

يا لهذا الزحف الرائع الذي يمشي بأصحابه الى العيون والانهار والبحار ٠٠
انظروا معي ٠٠
ان النبي قد ظهر ٠٠

ليس عصركم عصر شعر ، فحسب ٠٠ ولكنه عصر النبوة التي ستجعل من الصحراء بلدا كاسيا رافها ٠٠

لقد بعث الله ، في العرب ، نبيا كريما ، ورسولا عظيما ، يسوقهم الى خير مساق ، ويعرفهم بالفضيلة الباقية التي تصقل النفس ، وتمشي بها الى عالم ، يموج بالطمأنينة ٠

وهذه الجنات التي يبتسم فيها الاقاح والورد ، وهذه المياه الهادرة التي تغسل المراعي وتسقي العشب ، ستذوب في ابتسامة مضيئة ، تلمع على شفتي ذلك النبي ٠٠ »



حفرة كبيرة واسعة الحوافي ، **قيل ان القنابل** الفرنسية المعروفة بـ (قازان) قد قصفتها فخرج الماء ، فتشرخت الحوافي ، وبدت الحفرة كلها شديدة الميل كأنها الوادي العميق الغور ، أنني آتي اليها ، وكنت أشعر كلما اقتربت منها بفراغ في جوفي ، وعندما كنت أنظر اليها أخال أنني أطل على جوف الارض ، حيث تجري المحاكمات الشيطانية ٠٠٠ وكنت أتشبث بالحائط الاسمنتي خوفا من السقوط في الهاوية ، ونظري لا يفارق الماء المترقرق بسكون ووداعة ، وكنت أشعر بالعجب من العنزة الصغيرة ، كانت تنزل بثقة الى الماء فتشرب ٠ أتطلع اليها خشية أن تسقط ، ولكنها كانت تعود ٠٠ وقد علا رأسها التراب وذقنها السواد تشبه الشيطان ، فاتذكر أن الشيطان وحده يستطيع أن ينزل وأن يصعد كيفما أراد ٠٠ **لقيني طلال** وهو جار لنا شاب فقال لي :

ـ اذهب الى بيتنا وقل لامي أن تعطيك **الحبل الذي** جلبته أمس ورغيفا وبضع زيتونات !٠

كانت الاكواخ تمتد على مرمى البصر ، مطلية بلون الشمس ، وذات سقف ترابي أسفله من القصب ، **لم** أجد صعوبة في الاهتداء الى أم طلال كانت جالسة القرفصاء أمام منزل قريب من كوخنا ، لوحت لي بيدها ، وهتفت :

ـ محمد ٠ أنت ٠٠٠ تعال الى هنا !٠

وشدتني من يدي وأجلستني بقربها ، **قبلتني على** وجنتي الترابية ، ثم مسحت شفتيها ، شعرت أن الجارة متضايقة من الذباب الذي عشش بقربي ، **وقالت** :

ـ ابن ٠٠ ابن من ؟!٠

ابتسمت أم طلال بخبث ولحظت **أنها تحب الخبث** ، **كنت جاثيا على الارض أنكش التراب ريثما تبتعد أم طلال** وألحق بابنها ، **قالت بصوت مبحوح مثير** :

ـ **أخته المجنونة !٠٠ آه ٠٠ لم تعرفيها ٠٠ لقد** استأجروا كوخا لسجنها ٠

ـ **أووه ٠٠ سعاد ؟!٠**

ـ بالذات ٠٠ **ان هذا اسمه محمد ٠٠ لِمَ لم** تذهبي لزيارة أم حسن ؟! **٠٠ انها أمه !** ٠

كشرت المرأة عن أسنان صفراء غرز بين ثناياها بقايا طعام السلطة ، ثم قالت :

ـ قد تصيبني العدوى !٠

فضحكت أم طلال ، نهضت فجأة وقلت لها :

ـ قال لي طلال ان ٠٠٠

أدارتني المرأة الاخرى الى الجهة المقابلة ، حيث أعطيتها ظهري ، وربتت بشراسة على أعلى فخذي ، وأزاحت يدها ثم قالت :

ـ لقد تبول !٠

حدجتها بنظرة صارخة ، لقد حسبتني طفلا ، استدرت نحوها وقلت :

ـ بل كنت أعبر النهر فسقطت ٠٠

ـ لم تقل ان رائحة النهر قذرة ٠٠ وأنا من الصباح أنظف هذا المكان !٠

ـ انني لم أعلم أنك تشمين من يدك !٠٠

بصقت باشمئزاز بينما رحت أبكي بصمت ثم بصوت عال ٠٠ كل من ألقاء يقول ٠٠ اننا عائلة مجانين ، بعد حين سمعت خلفي صوتا مواسيا :

ـ كف عن بكائك ٠٠ أين ذهبت أمك يا حبيبي ؟!

تدلى رأسي نحو الارض ، الى دودة بيضاء تزحف ، رأيت نفس المنظر قبل عدة أيام ، نظرت الي أم طلال وقالت :

ـ من الممكن أن تكون أمك تدير الاوراق لتدخل أختك المشفى ٠٠

وبلهفة ولا أدري ما السبب سألتها :

ـ أية مشفى ؟!٠

ـ المجانين !٠

ـ كيف يجن البشر يا خالتي ؟!

أحاطت عنقي بيدها ، شممت رائحة أحمر الشفاه من شفتيها الطازجتين ، كانت دائمة النعاس ، لا تكاد تكلمها حتى تشعر بأنها قد تنام وتسقط لحظتها على الارض ، لكن جلدة وجهها مصنوعة من لحم نظيف ، انها جميلة كأختي المجنونة ، وذات مرة سمعت بأنها تتوق الى انجاب الاطفال ، ولهذا تتزين دائما ٠

جذبتني من يدي وقالت بهمس :

ـ مثلما يموتون يجنون !٠

ـ أكل واحد معرض للجنون ؟!

صمتت ، فقلت فيما بعد :

ـ انني أخاف أن أجن وأربط مثل أختي من يديها ، لقد أعطونا كوخا كبيرا له عمود من خشب ليربطوا يديها ٠

ـ قالت العرافة ان الذي تلبسها يريد الاختلاء بها ، انها تسقيها من أنفها الزنجبيل ٠٠٠ اني أخاف أن أجن وأصبح ٠٠ أصبح مثلها مقيدا ٠٠ اني أخاف ٠٠

وطفرت دموعي ٠٠ كانت الجارة تستمع ، وكانت تغمز الى أم طلال ٠٠ وكأنها تقول : انه مجذوب أحسست فجأة أني أحمق ، قالت أم طلال :

ـ لقد بحثت عن طلال فلم أجده ٠٠ أين ذهب ؟٠

سنحت الفرصة لكلامي فقلت :

ـ أوفدني هنا لتعطيني الحبل ورغيفا وبضع زيتونات !

ـ أين رأيته ؟٠

في البستان ٠٠ وعندما سينصب أرجوحته سأركب بلا مال !٠

ـ أقال ذلك حقا ؟!٠

ـ انه جائع ٠٠ وقال يجب ألا أتأخر ٠

ودعت الجارة التي همست ببضع كلمات لم أفهمها عندما خطت أم طلال نحو الكوخ المزين بالخشب الملون ، قالت أم طلال :

ـ تفضل يا محمد ! ٠

دخلت ٠٠ أدوات الزينة في العلبة كما هي ، سمعت أمي ذات مرة وهي تقول ٠٠٠ لو أستطيع التزين لولدت الاطفال ، وفي بعض الاحيان كنت أسمع دون زينة لا أطفال ٠٠ وكنت أسأل أمي فيما مضى ، ولمن التزين فأجابت للطفل !٠

كان بجانب الحائط الفراش ، ثم ستارة ، وللحال عرفت أن وراءها فراش طلال ، ومن تحت الحصيرة المطوية تناولت حبلا ، واعتلت الفراش فبان فخذاها البضان ، أنزلت رغيفا مشويا على التنور ، وبرطمان الزيتون ٠ أعطتني الحبل والرغيف ، ووضعت في ورقة عددا من حبات الزيتون بعد أن نشفتها من الزيت بواسطة فمها ٠

وصلت الى الطريق ، في الكوخ المنفرد رأيت أخي حسن ، فاعترض طريقي ، وتوسطت بصقة ضخمة وجهي وصرخ :

ـ يا خدام الشحاذين !! ٠

ولم يرحمني قط الا بعد أن اقتسم جزءا من الرغيف واختطف بعض الزيتونات ٠ انصت فلم أسمع صوتا فقلت له :

ـ أهي نائمة ؟!٠

ـ اذهب !٠

ـ قالت أم طلال ان أمي ذهب الى المدينة لتدخل أختي المشفى ٠٠

ـ اذهب !٠

ـ سأذهب ٠٠ اسكت ٠٠ انها نائمة ٠٠ أعطها ماء لتشرب ٠٠

لكنه دفعني بغلظة بينما كان جزء من الرغيف وحبات الزيتون يستقران في فمه ٠ وتلقاني طلال مبتسما فقال لي ان الرغيف والزيتون هما ملك لي ٠٠ فتلعثمت٠٠ لكنه دفعني بعيدا وقال :

ـ سأنزل الى البئر ٠

أشرت الى الحفرة بجزع وخوف وقلت :

ـ هذه ؟!٠

سأسبح ٠٠ لكن لا تخبر أمي والا أخذت الرغيف والزيتون ٠

وحمدت الله على أنه لم ير الشرخ ٠٠ ربط الحبل بصخرة ناتئة شديدة القوة وربط الطرف الاخر حول خصره وقال :

أ تجعل أحدا يقترب من الصخرة والحبل ٠٠

راح يتسلق النتوءات بخفة ومهارة وعمق مع هدوء في الحركة ، تحركت شعرات رأسه باتجاه الريح ، فابتسم ، وكاد يصل الى المنتصف ، تشبث بطرف نتوء ٠٠ ظنه صخرة صلدة ، لكنه تهاوى فجأة وارتطمت ذقنه بالحجارة فصرخ مكفهر الصوت ، وشق صراخه أديم الهواء ، بينما راح يتهاوى الى أسفل كماء مسكوب على حافة خزف صيني ، توقفت اللقمة في حلقي وارتجفت ٠٠٠ هذيت ٠٠ ثم رحت أركض بجنون الى طرف الاكواخ ٠٠٠ كنت أولول مات ٠٠ مات ٠٠ مات !٠٠

فقط ٠٠٠ اتجهت وأنا أردد القول الى أخي حسن الرابض أمام باب الكوخ المفتوح ، كان جمهور كبير يتدافع بالمناكب ٠٠ انني متيقن من أن حسن عمل شجار بسبب السخرية نسيت طلال ، واندفعت اليهم مبهور الانفاس أمام باب الكوخ ، حسن جالس على الارض مطرق بحزن ، كالميت مطرق ٠٠ مطرق ٠٠ مطرق !٠

ان جثة تهزها الريح ٠٠ جاحظة العينين ٠٠ فاغرة الفم ٠٠ مفزعة المنظر ٠٠ تهتز ٠٠ انها أختي ٠٠ أختي آه ٠٠ يارب٠٠ يا ٠٠ رب !٠ لقد تصلبت في مكاني ٠٠ حيث الهمهمة مطرقة بخضوع ، حيث الجثة المهتزة ٠٠ انني لا أعرف ما هذا ٠٠ ان أختي !٠٠

كم مضى من الوقت ؟! ذاك ٠٠ ما لا أعرفه أبدا ٠ الا أن يدا دامية امتدت أمام وجهي أو وجه مغطى بالدماء يقول :

ـ لقد نجوت ولم أمت ٠٠ ما هذا ؟! ٠

كان طلال يكلمني ٠٠ لكنني كنت غائبا عن الوعي٠ ان يدي متشنجة وحلقي لم يزدرد بعد اللقمة ٠٠

ها هنا المأساة ٠٠ آه ٠٠ كانت دموعي ناشفة جافة كقبر خال من الدود ٠ سألني للمرة الثانية والثالثة ٠٠ وأخيرا كان لساني يقول :

ـ طلال٠٠ ان أختي مشنوقة ٠٠ لقد شنقت نفسها!٠

أشرت الى الجثة المعلقة في الهواء ٠٠٠

المهتزة ٠٠ المهتزة !٠٠

محاولة لتكوين رؤية حضارية للتراث العربي

رمضانة بطاوسي محمد

١ ـ مدخل ..

.. اذا كانت الحضارة الغربية تسعى جاهدة في الاونة الاخيرة لدراسة الاساطير القديمة ، وتعميق فهمها بهدف البحث عن جذور الانسان المعاصر وقيمه المفقودة ، فانه من الاولى بنا نحن أن نبحث عن تراثنا ليس بهدف البحث عن هوية الانسان العربي المعاصر فحسب وانما الهدف الاكبر هو البحث عن مخرج لهذا التخلف الحضاري الكبير التي تعيشه الشخصية العربية ، وقد فشلت المحاولات التي حاولت أن تخرج الانسان العربي من تخلفه عن طريق الحضارة الغربية وما تفرزه من أفكار ومعتقدات .. وكان السبب الرئيسي في فشل هذه المحاولات هو أن افرازات الحضارة الغربية هي نتاج ظروف تاريخية ، وعلاقات اجتماعية محددة ، كانت بالضرورة تقدم هذا النتاج الفكري والفني تبعا لمراعاة التطور التاريخي لفنونها وأفكارها ...

ومن هنا فانني أزعم أن التراث قد يكون فيه دوافع الثورة ، والمنهج الذي يعجل بتراكم وعي الجماهير بمصالحها ، لان هذا التراث ـ ببساطة ـ يحوي مكوناتها الاساسية لهذا فان ضرورة دراسة التراث من خلال منهج حضاري معاصر أمر غاية في الاهمية لانه يوضح لنا امكانيات الواقع العربي ، وما هو الممكن فيه ؟ وما هو المستحيل ؟..

٢ ـ ما هو التراث ؟..

الشائع لدى الجماهير العربية عن التراث ، أنه هذه الكلمات الغليظة غير المفهومة ، وأقول بجرأة أشد أن الجماهير العربية تعاني قطيعة وجفاء مع التراث ، وأحست أن حياتها بعيدة عن هذه الكتب الصفراء ، وخلق انفصال بينهما .. وهنا يبرز سؤال ما الذي أدى الى هذه القطيعة وهذا الانفصال بين الجماهير وتراثها الذي يكون وعيها الاجتماعي والايديولوجي ؟

أقول أن هذا الانفصال كان نتاج لعوامل سياسية واجتماعية وثقافية ، ولكن ليس هذا مقام الاسترسال في ذلك لكن نستطيع أن نلخص ذلك ببساطة فأقول أن الاستعمار الغربي ومحاولته بنشر ثقافته ، كان يهدف الى القضاء على الثقافات الوطنية للشعوب العربية ومن بينها التراث ، وللاسف أن الحكومات الوطنية التي جاءت بعد الاستعمار شجعت هذا الاتجاه تحت شعار اللحاق بالتقدم الحضاري للغرب ، ولكن النتيجة هي تشويه الشخصية العربية وفقدانها لروحها المميزة .. والسبب الثقافي الذي أعتبره في غاية الخطورة هو أن رجال الدين ورجال الفكر كانوا ينقلون التراث ، دون البحث في دلالة التراث ، ودون أن يتخيروا التراث الذي يرتبط بمصالح الجماهير العريضة وأكبر تطبيق على ذلك القرآن وموقف الشباب العربي منه .. حيث أننا نجد أن معظم الشباب لم يقرأ القرآن ـ وهو من أمهات الكتب التراثية ـ وان قرأه فهو لم يتعمق في فهم دلالته .. لان رجال الدين والفكر حرصوا على تقديمه كنص دون الحديث عن المعاني الانسانية التي عالجها القرآن من خلال الاوضاع الاجتماعية التي تحدث بصددها القرآن .

ولكي نوضح ذلك باختصار أقول أن القرآن المتداول الان ليس مرتبا ترتيبا تاريخيا ، ومن هنا فهو قرآن للعبادة وليس للتشريع ، لان قضية الناسخ والمنسوخ تجب ما قبلها ، بمعنى أنني لا يمكن أن أخذ بأية لا تحرم الخمر تحريما نهائيا ، لان هناك آية بعدها قد قطعت بأن الخمر محرم ..

ان كلامي معناه أن التراث ككل هو الذي يقدم البديل أما هذه التجزئة للتراث فلا تحقق سوى هذه القيطعة ... وسوف نعود لقطيعة القرآن في مكان اخر ولكنني سردتها فقط لاثبت أن أكثر الكتب تراثية وهو القرآن ، نعاني من قطيعة معه ..

نعود بعد ذلك لتحديد ماهية التراث ٠٠ فهو النتاج الثقافي في صوره المختلفة ، من شعر ونثر ورسالة ، هذا النتاج الذي يعطي رؤية الانسان العربي لعالمه وتتشكل هذه الرؤية من خلال مكونات هذا العالم ، واذا كانت هذه المكونات موجودة لدى وعي الانسان العربي المعاصر ، وهي التي تحركه في كثير من الاحيان ٠٠٠ ومن هنا فان دراسة التراث ستعطي لنا صورة للوعي العربي وتأريخه على مدار العصور ، وكيف يتنكر الانسان العربي المعاصر لوعيه الاصيل ٠٠ بعد تحديد ماهية التراث ننتقل للخطوة والاهم وهي المنهج الذي نستطيع أن نقدم به الرؤية الحضارية المعاصرة للتراث ٠

٣ ــ المنهج ٠٠

٠٠ قبل الحديث عن منهجنا في التراث لا بد أن نرد على الدعوى التي تقول أن التراث كله هو المسؤول عن التخلف وأن القيم التي يحفل بها التراث ، لا تؤدي الا الى الاستكانة والضعف ، ولكنني أرد ببساطة أن التراث العربي كنتاج انساني ، فيه القيم السلبية والايجابية ، وأن أي فترة تاريخية كانت تحفل بالفرق العقائدية الرافضة ، ومن أمثال ذلك المعتزلة ، وابن رشد والخوارج ٠٠٠ حتى أن بعض هؤلاء الرافضين لقيم التراث يرد بشخصية من التراث رافضة ، وشخصيات مثل الحلاج ومهيار وابن عربي الذي تحدث عن انجازات علمية يتحدث الان العلم عنها بانبهار الان ٠٠٠ وهذا معناه أن التراث ايجابي ، وهذا معناه أيضا أن التراث يكون ايجابيا من خلال المنهج المعاصر الذي يتعرض لايجابيات التراث ٠

والمنهج الذي يقدم هو الذي يحدد ايجابية التراث من خلال هذا المنهج ٠٠

ما هو المنهج ؟!

أ ــ المنهج الاجتماعي التاريخي ، الذي يقدم التراث كنتاج للعلاقات الاجتماعية السائدة والتطور التاريخي ، وهذا المنهج سوف يقضي على كثير من اللبس والغموض الذي يكتنف التراث في كثير من الاحيان ٠٠ ولكن بحيث ألا ينفصل هذا التراث عن ظروفه التاريخية ، وبحيث يوضح في ذهن المتلقي العلاقة بين النص التاريخي ، والظروف التي أدت اليه ، لان النص التراثي من وجهة نظري هو بنية اجتماعية خلقها كاتبها الذي هو أولا انسانا يكون متأثرا بظروفه وتطوره الاجتماعي والتاريخي ٠٠

والاية القرآنية حينما نتفهم ظروفها ، نستطيع أن نتعمقها ، ونفهم أبعادها المختلفة ، وأيضا القصيدة الشعرية التي تكثر من استخدام ألفاظ معينة لان هناك علاقة بين هذا اللفظ ، ودرجة شيوعه في عصره ٠

ومن خلال هذا المنهج العلمي يتحول التراث الاصيل الى موقف انساني ورؤية الكاتب لعصره من خلال أدوات هذا العصر ٠٠

ب ــ هذا المنهج ينقلنا من الرؤية والموقف الحضاري للنص الى دلالته الحضارية هذه الدلالة سوف تساعدنا على تجاوز كثير من الاخطاء الشائعة التي كانت تأتي بسبب النظرة الضيقة للتراث ، والتي تعتمد على دراسة التراث دراسة نصية ، وعزله عن كل الاشياء التي ذكرتها سلفا ، والشيء المؤسف أن المنهج النصي الذي يقوم على تحقيق التراث فقط هو المنتشر في كثير من الاحيان ٠٠٠

جـ ــ وهذا الحديث عن الدلالة الحضارية والنظرة الشمولية للتراث ، سوف تجعل هناك ارتباطا وثيقا بين الانسان العربي الذي يفتقد الى موقفه الحضاري ، سوف يساعده هذا على البحث في خصوصية موقفه الحضاري والدلالة للتراث من خلال الابعاد الاجتماعية والثقافية الخ سوف تجعل الجماهير العربية تستفيد من التراث لان ينتقل من وعيها الى دلالة حياتية ٠

ولكن نؤكد هذا نقول أن الاسلام في جوهره كان ثورة اجتماعية على نظام العبيد ، واستمر الاسلام بهذا المعنى الثوري على مدار التاريخ ، فحملت راية الثورة كثير من الفرق الاسلامية مثل المعتزلة والخوارج وغيرهما ومن هنا فان دلالة الدين الاسلامي هو الثورة ، ولو انتقل هذا الى وعي الجماهير فهذا معناه ، أن تعي الجماهير العلاقة الوثيقة بين حياتها ومصالحها وبين تراثها الذي هو أساسا ثورة ٠

فتتحول الصلوات في المسجد والنكائس الى مظاهرات وثورات تنتزع حقوقها مثلما كان موجود في العصور المتأخرة ٠

٤ ــ خاتمة ٠٠

٠٠٠ بعد أفول نجم الفلسفة الوجودية في سماء الفلسفة المعاصرة ، بزغ نجم الفلسفة البنائية التي يرأسها الاستاذ ستراوش أستاذ ودكتور الاساطير الاجتماعية القديمة بفرنسا ، وكان يبحث عن هوية الانسان الغربي في أساطيره وتراثه الاول ٠٠٠

فلنبدأ ولنحاول أن نعيد النظرة في تراثنا من خلال منهج جديد ورؤية جديدة تستبعد كل نظرة أو حكم مسبق ، ونبدأ من خلال علاقة حميمة مع التراث ٠

انني أطالب ذلك بالحاح لنقضي على هذا الضياع الذي يعاني منه مفكرونا ، أطالب بهذا وأنا أعلم أن هذا لن يقوم به فرد أو مؤسسة انما يحتاج لتكاتف جهود الدول والجماعات من أجل انجاز هذا العمل الذي يمكن أن نسميه ثورة ثقافية ٠

مواجع راعفة

لأسعد حبيب يوسف

أعرني دموعا فالمصاب جليل ... وحزني بعد الراحلين طويل
أعرني دموع الغوطتين فطالما ... شجاني نحيب فيهما وعويل
أعرني دموع القدس تندب مجدها ... صريعا ، فدمع الرافدين قليل

★ ★ ★

توارت أماني الحبيبة في الثرى ... وغيب حلم في التراب جميل
أمان بعمر الورد صوح روضها ... وهيهات عمر الورد ليس يطول
فجعت بأحلام الشباب غريرة ... وعاجلها قبل الأوان طفول
فان خفقت منها بقايا فانها ... رسوم تحاشاها الفنا وطلول

★ ★ ★

أحن الى الماضي فتندى شمائل ... ومجد كريم النبعتين أثيل
وأسترجع الذكرى فتبدو خمائل ... ترف وماء كوثر ونخيل
وأصبو الى اللقيا فيبعث لوعتي ... على البعد سجع ناغم وهديل
ويحزنني مر النسيم على الحمى ... فقلبي عليل والنسيم عليل

★ ★ ★

أحن الى لثم القبور تعللا ... ففي كل قبر لي هوى وقبيل

يعللني شوقي الى الموت أنه لكل حبيب في التراب رسول

أحن الى لثم الأحبة في الثرى فأدنو ولكن التراب يحول

بقلبي من موت الشباب مواجع ومن موت حبات القلوب فلول

نفوس غوال كالمنى وأبرها نفوس على حد الحراب تسيل

تهدمت من طعن الزمان فأضلعي وشيج حناياها قنا ونصول

جراحي جراح اللاجئين وأدمعي دم عربي في العراء طليل

ودنيا من الآلام بين جوانحي يوارى بها جيل ويبعث جيل

فحقي مغصوب وأرضي سليبة وشعبي أعز العالمين ذليل

★ ★ ★

أتظمأ للسقيا دمشق ودونها فرات من العذب الفرات ونيل

فيا أسد البعث المجيد ومن به نصول غداة الروع حين نصول

تقحم فقد أضرى بنا الثأر وانتخت ظباء وهاجت في العرين شبول

العودة

د. عبد السلام العجيلي

أرى النهر لما جئته متفقدا   تباعد عني موجه ثم أزبدا

كأني لم آلم لشكواه مرة   ولم أسهر الليل الطويل مهدهدا

وكم ليلة ألفيته في ظلامها   يعاقر كأس الهم في الليل مفردا

سكبت الهوى في شاطئيه قصيدة   فأورق رمل الشاطئين وغردا

رويت له حب الفراشات للضحى   وحب الورود الحمر في الفجر للندى

وحبي اذا ماعسعس الليل نجمة   ضربت لها درب المجرة موعدا

من الليل عيناها وأما جبينها   فقد ظنه السارى المضيع فرقدا

وجاءت فجاء النور والنور والشذى   وترنيمة الحادى وترجيع من شدا

أطل علينا الورد من شرفاته   ففتح من أزهاره ما تعنقدا

وقال لنا الأيام خلف صباكما   تشذب من أطرافه ، فتزودا...

تزودت منها نشوة القلب كلما   **هصرت بزندى قدها** فتأودا

ونجوى هوى لما أعدت حديثه   على الوتر المحزون غنى وغردا

وسرى الذى عاطيته النهر فانتشى   وعالج فيه همه فتبددا

فيا صاحبي النهر الذى عق صحبتي   ليهنك بؤسي لست في الصد أوحدا

أخي البدر ان ناجيته غم نوره   وراء الغيوم العارضات وأبعدا

ولي دوحة قد كنت ألف ظلها   زوت عن لقائي جذعها المتخددا

أنا البائع المغبون أخليت م الهوى   فؤادى فلم يملأه غي ولا هدى

وكان وراء الوهم ركضي حينما   مضيت لغير الحب انتهب المدى

ترى نجمتي الزهراء ما زال شوقها   على العهد أم طال البعاد فأخمدا

بهذا سألت النهر حين سألته   فما برد النهر المغاضب لي صدى

فأبت كأن الرمل يشقى بحسرتي   اذا هده موج طغى فتنهدا



التي تليق بي

د. وجيه البارودي

ان التي تليق بي في حبها لم تخلق

تلوح أشباه لها في فتنة أو ألق

قصرن عنها في معاني روحها والخلق

قصرن .. أو قصرت في تفهمي ومنطقي

فسحرهن في اختلاف نكهة أو عبق

وفي اختلاف الطبع من ليونة أو نزق

وجهلهن .. لا تسل عن جهلهن المطبق

وغيرة هي الجنون .. فاحتمل .. أو طلق

ان التي في حبها تليق بي لم تخلق

كلا .. ولن تلوح الا في خيالي المغرق



شكوى شاعر

عبد الرزاق يوسف

أين الندامى وأين الكأس والوتر ... أين الليالي وأين الأنس والسمر

والنعميات التي قد كنت أغدقها ... على المحبين ما شاؤوا وما أمروا

أين النسيمات .. ما جلنا بخاطرها ... أين المرابع والازهار والشجر

أين الدرارى اللواتي كن قد طلعت ... تأبى الأفول ، وأين الشمس والقمر

أين الصحاب وقد صنا مودتهم ... أين الرفاق وأين الناس يا قدر

أين الجميع ومالي لا أرى أحدا ... هل أصبحوا اليوم لا عين ولا أثر

لم تجدني النفع عيني وهي باصرة ... لو لم يكن لفؤادى خلفها بصر

ما ضنت العين بالرؤيا فقد عذرت ... اذ لم تجد قط من يهفو له النظر

الحر فيهم اذا ما رمت رؤيته ... ألقاه في شغل عني ويعتذر

لم أبك صحبي ولم أعتب على أحد ... اذ ليس في الصحب من يرجى ويدخر

اذ شوهوا اليوم مفهومي فلا عجب ... ما شوهوا الحق .. ما أوفو بما نذروا

بيروت والأعياد

الدكتور اسعد علي

بيروت ظمأى في الشتاء حزينة　　وعجيبة الدنيا غدت بيروت

الأم يذبحها البنون .. وكلهم　　في حبها الموصوف والمنعوت

أخوان يقتتلان في أحضانها　　وكأن آدم فيهما مبهوت

★ ★ ★

لا أزرق الفيروز مبتهجا بها　　لا لؤلؤ العمران لا الياقوت

لا مريم مسحت على طرقاتها　　بيد الحنان .. ولا حنا الملكوت

وخديجة لم ترعها بحنوها　　فجميع ما فيها يعيش .. يموت

رمضان والاضحى وميلادِ المسيح　　مآتم .. في شعبها .. وكبوت

حتى الذين تحصنوا بسلاحهم　　يتضايقون كأنه التابوت

★ ★ ★

هل ما بها سحر يعلم شره　　لجنودها هاروت أو ماروت ؟

ما هذه **الأفعال .. ما تفسيرها ..**　　ماالعنف في بيروت .. ما الجبروت ؟

أجميع قومي عاجزون عن الرضى ؟　　وعن التفاهم والوفاء سكوت ؟

أم أن لبنان انتهت أيامه　　وجديده عند الشعوب .. يفوت ؟

ما واحدا في الكون يرحم شعبه وجميل لبنان الجميل .. بيوت ؟

في الكون أحرفه وطيب صيته مسك على حسنائه مفتوت

★ ★ ★

لبنان يغرق في الفناء كأنه طفل الشواطىء في الدجى والحوت

لا أمه تسعى اليه .. ولا أب .. ما تنفع الألحان والتصويت ؟

★ ★ ★

أقبلت نحوك يا وليد وفي فمي كلمات حب سرها منبخوت

ما اغتالها، في الدرب، قناص يقال له: طبيبك .. والرقى .. والقوت

قد جئت سرا في صبيحة مولد أنواره في العالمين بخوت

ومعي الحياة .. اذا أردت .. معي الطريق ونورها وحنينها الموقوت

« الله أكبر » من كبائر قاتل « والمعجزات » من المسيح ثبوت

والأرض واسعة لكل خليقة .. في جوفها كل العروش تخوت

ستعود يا « طفل البحار » بمولد يحيا المسيح به فيطرد موت

ان المسيح قيامة وقرابة بالحب أسس شرعه الرحموت

وكذاك في القرآن .. أن تصغي الى القرآن والانجيل .. يابيروت..!

لا تسأليني

نزار

سعيد قندقجي

لا تسأليني من أنا ولربما ... أنا لست أعرف من أنا فدعيني
أنا ذلك المجهول كل عوالمي ... لما تزل مرهونة بظنوني
حولي أرى الدنيا تموج رحابها ... نشوى وترقص كالسنا بعيوني
وتطوف بي فأحسها مجنونة ... لعبت بقلبي الواله المجنون
أنا لستْ في ذاتي أعيش وانما ... أنا ذرة من عالمي المفتون
أنا في الطبيعة بعضها وكأنني ... يوما وصلت حنينها بحنيني
تلك الجبال عواطفي مرصودة ... في الأفق تحمل للسماء شجوني
وتمائمي تلك السفوح نثرتها ... مخضوبة بدمي وماء شؤوني
هيهات ما كوني لدى مجردا ... فالكون كل مشاعرى ويقيني
أنا ذرة لكنني أنا عالم ... رحب الظلال مموج التلوين
لي ألف احساس يفجر أضلعي ... ويثير فيَّ كوامني ولحوني
أنا قد خلقت مجسدا في خافقي ... كل الوجود برحبه يغريني
ضحكاته حلم السعادة في فمي ... وأنينه في النائبات أنيني
ومروجه ظمأ الطفولة لم يزل ... في أضلعي لمروجه يدعوني
آسو جراحي فوقها وأبثها ... نجواى من شوق لدى دفين
وأود لو أني قطين ظلالها ... أبدا أمد غصونها بغصوني
هي أمنا الكبرى وبعض جنانها ... أنا ان ضللت عن الهدى يكفيني
أنا ان سألت ففي ضلوعي نشوة ... تبقى وحب لم يكن بضنين
أنا عابد مجد الطبيعة مطلق ... آلاؤها في سرى المكنون
أنا قد عرفت الله في آمادها ... وقرأت فيها آية التكوين

كبرياء

عدنان قيطاز

الـرأى أن تبقى كمـا أنت　　وبظـل مصباحي بـلا زيت

لا خـير في استمرار رحلتنا　　فشراعنـا أمسى بـلا سمت

ورياحنـا كـانت مواتيـة　　تجرى مع الأحلام في صمت

أيام كنت وكـان يجمعنـا　　درب الهوى .. يا طيب ما كنت

وحروف قافيتي هنـا وهنـا　　تنسـاب من بيت الى بيت

كم قلت هـذا الحب أطلقني　　من سجني العاتي ومن كبتي

ورسمتـه طيرا عـلى فنن　　يشدو ، وقلت ... نسيت ما قلت ؟

أين العهود .. وأين ما كتبت　　يمناك لي بالأمس من نعت ؟

هذى رسائلك التـي سلفت　　تحيا معي ، وتموت في موتي

لن تأخذيهـا .. انهـا سفني　　حملت الى أذني صدى صوتي

عودى .. فان الريح عاتيـة　　والنار من فوقي ومن تحتـي

لـي كبريائي .. لا أدنسهـا　　فتجنبيني .. واحذرى مقتي

وقفة على أطلال تدمر

رحاب

أحمد علي حسن

دعني ألم بها فهذى تدمر ... وقفت تحدث مقلتي وتخبر
طلعت على الصحراء، فهي معالم ... تطوى أحاديث العصور وتنشر
جمد الزمان بها، فان لأهلها ... زندا يقاومه، وعينا تسهر
ومشى بها التاريخ، فهو صحائف ... تزهو بمعجزة البناء، وتفخر
فاذا وقفت بها، يهولك موقف ... واذا نظرت بها، يروعك منظر
تلد الفنون عجائبا، وبتدمر ... فن أدق من الفنون، وأخطر
دنيا على سعة المفاتن شاءها ... فوق الخيال، مهندس ومصور
خلقت يد الانسان بدعة سحرها ... والسحر ينفذ كالشعاع ويبهر
آمنت بالانسان، يبدع خلقه ... آمنت بالانسان، وهو يفكر
سيان عند هواى فيه عنصر ... ان كان يبدع في الحياة وعنصر
الفكر آيته العطاء، فواحد ... في شرعه من أسلموا وتنصروا

★ ★ ★

قف عند هيكلها العظيم، فانما ... (بعل) يسبح ها هنا ويكبر
محرابه لله؟ أم محرابه ... للفن، يدهش من يراه، ويسحر
يلتف بالعمد الصلاب رواقه ... وبمثلها في سوره يتأزر
مثل العرائيس في الشباب وفي الصبا ... وقفت به، لكنها لا تخطر
عمد مصفحة، تشير بأنها ... صنع الذين تمدنوا وتحضروا
(باكين) معتكف الجوانح خاشع ... من حول رفرفها (وبوعز) يسهر[1]

(١) «باكين» هو العمود الاول، و «بوعز» هو العمود الثاني من أعمدة هيكل سليمان

ضربت بسور حولها متماسك ... يعيي ويعجز كل من يتسور

يجثو ويربض فوق تل مشرف ... أبدا يهدد غازيا ، ويحذر

واذا نظرت الى المدينة تحته ... فكمثل غابات المآذن تنظر

أقواس مدخلها حنايا تلتوى ... فيها الصخور ، وعودها لا يكسر

شطر المدينة ، وهي واحدة به ... مجموعة ، وبغيره لا تشطر

خط تضيع من العيون ، وأشرعت ... في جانبيه مداخل تتصدر

يفضي الى عمق المدينة ، أبيض ... تحلو جوانبه الرتاب وأسمر

شملت روائعه ، وألف حسنه ... لا سابق فيه ، لا متأخر

وتطل أعمدة ، تظل رواقه ... ويلوح حانوت هناك ومتجر

وحوامل الانصاب فوق صدورها ... أثداء تكشفها لعينك معصر

وتوزعت ، لا الخوف أجفل سربها ... يوما ، ولا هي للوغى تستنفر

صفت أمامك في فسيح يابس ... ولقد يحيط بها فسيح أخضر

مثل المنائر غير خابية السنا ... نصبت ليستهدى بها المستبصر

وكأنها عبر الرحاب كتائب ... مصفوفة لوغى بها ، أو عسكر
يتهيب القدر العتي لقاءه ... فيهب أونة ، وطورا يقهر
صمدت بمعركة الفناء ، فبعضها ... أودى ، وبعض صامد يتنمر
تمتد ، حاسرة البقاع وراءها ... بيد ، يطول بها الخيال ويقصر
الطير آمنة السرى بسمائها ... وبأرضها أمن الغوائل جؤذر
حملت الى عينيك أنباء الاولى ... سبحوا بأمواج الرمال وأبحروا

★ ★ ★

ومدرج للرقص ذكرني بمن ... مروا به قدما ، ولا يتذكر
ظلت مقاعده الصفيفة تشتكي ... من هجر من عنها مضوا أو هجروا
وهياكل أخرى جفاها كاهن ... لله يجأر بالدعاء ويجهر
فهنا ، بساحتها تأنق ملعب ... وهنا بحائطها تأنق منبر
حليت بأنواع النقوش سقوفها ... وتزينت ، فزمرد أو مرمر
للشمس دافئة ، اله خير ... ولصنوها الغالي اله خير
ويلوح مرسوما على جدرانها ... (باخوس) من عنب العرائش يسكر
وأرى عناقيد الكروم ، كأنها ... تدعو - وقد نضجت بها - من يعصر
ومدافن فوق الثرى ، أبراجها ... شماء ، تهزأ بالفناء وتسخر
وتغلغلت تحت الثرى ، فكأنها ... سر بأطباق الثرى يستتر
تتحصن الموتى بها ، حتى غدا ... أخذ الفناء ببعضها يتعذر
هذى وآلاف السنين تلفها ... أجسادهم بالصمت عنها تخبر

ما زال يحفظها الحنوط ولو بدا ... فيها التمزق والتآكل يظهر
مهلا سليمان الحكيم فها هنا ... عفريت جنك في الثرى يتعفر
لم تبن تدمر، فهي قبلك ثورة ... من كل من هجر البرارى تثأر [1]
ويقول (نابغة القريض) : بناتها ... جن، أليس عن الجنون يعبر ؟
يا شاعرى عفوا، فمن أذنوا بها ... أقوى من الجن العتاة وأقدر
هذى البروج مدارج من عبقر ... وعلى قواعدها تربع عبقر
(بلقيس) لوقرت بعرش (أذينة) ... كثر الذى فيها يلوم ويغدر
ما هالها الملك الذى نزلت به ... وبعينها الصرح الممرد يصغر
عرش لأحلام الشموس، وموكب ... حرد ، عليه (زنوبيا) تتأمر
أنى وقفت به، يشدك مطرف ... من وحي مملكة الجمال، ومئزر

★ ★ ★

يا روعة الأنثى اذا ذكر اسمها ... يندى الجلال، وباسمها يتعطر
لقد استخفت بالرجال، كأنها ... أسد بأبراد النساء غضنفر
الفرس قد ركعوا على أعتابها ... وببابها في الروم طأطأ قيصر
واذا بها ظفروا أخيرا، ربما ... يثب الجبان على الشجاع، ويظفر
لك في عباءتها شمائل فارس ... وفم أنوثتها ، وطرف أحور
أعروسة الصحراء مجدك ثابت ... كالدهر ، لا يبلى ، ولا يتغير
فني الرجال الفاتحون، ولم يزل ... باق، يدمر بطشهم ما دمروا
المجد ما عجز الزمان وأهله ... عن قهره مهما عتوا وتجبروا
هذى رحاب الخالدين ، وانني ... أبصرت جنتها ، فأين الكوثر؟

هكذا أنت

فؤاد رضا رجب

ربما تصبحين بحرا من الضوء يجوز الحدود والأمداء

ربما تصبحين أفقا من الغيم وليلا يجلل الأرجاء

ربما تصبحين سكرى ، وصحوى ونديمي في الحان ، والصهباء

ربما تصبحين دنيا من اليأس وحزني ونعمتي والبلاء

ربما تصبحين سرا خفيا في خيالي ، وقصة خرساء

وقصيدا يرف فوق شفاهي وشبابا معطرا وضاء

وشراعا يطوف في لجة الكون طموحا ، لا يعرف الارساء

ربما تصبحين صحوى وأمطارى وليلي ، وخيبتي ، والرجاء

ربما تصبحين غابا من الزهر بعمرى وربما الصحراء

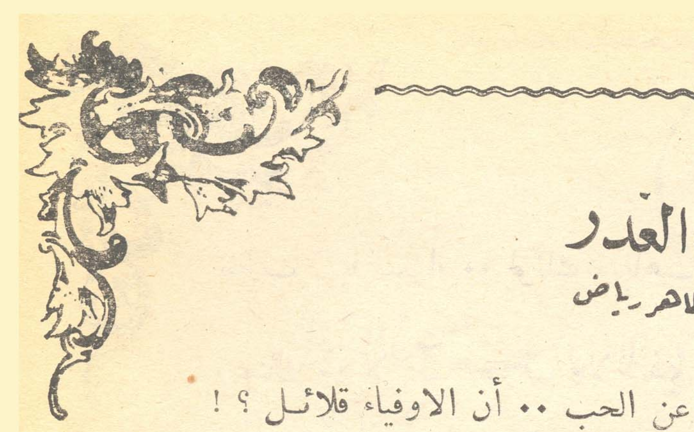
وربيعا تغص بالعطر زواياه ودنيا خلية قفراء

وسحابا وأنجما ضاحكات وشموسا بديدة ، وسماء

ربما صرت للضياء ظلاما ربما صرت للظلام ضياء

هذه أنت . ألف دنيا ودنيا في خيالي على المدى تتراءى

أنت هذى الحياة ما بان منها والخفي المستور .. لا استثناء



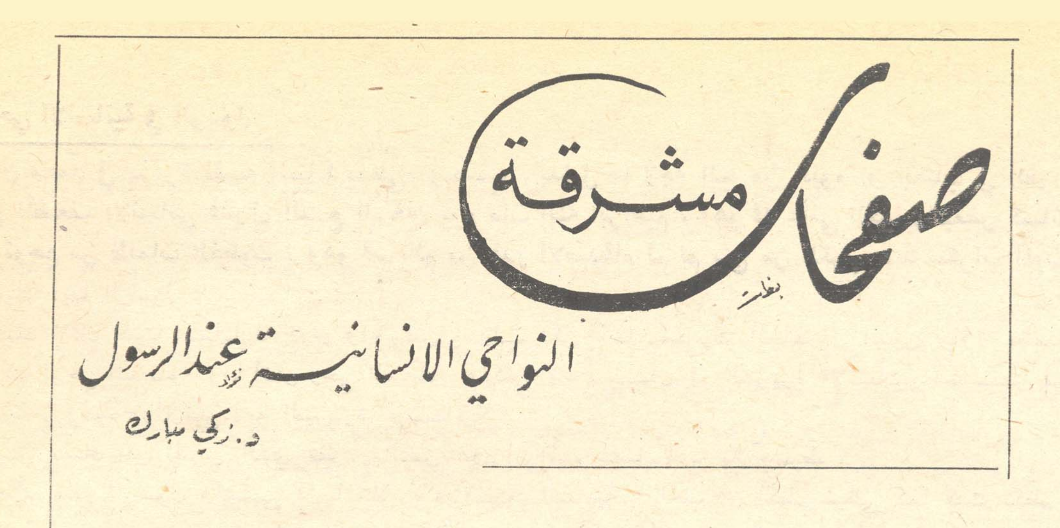
ابارك فيك الغدر

طاهر رياض

صبية .. هل يدرى الحنين المسائل عن الحب .. أن الاوفياء قلائل ؟ !
وهل يعلم الشوق اللهيف بأنها خلت من ندامى الليل تلك المنازل
ألا خبريني .. كيف ضلت سفينتي وكيف تجافت عن لقاها السواحل
وكيف ضوى ما بين يوم وليلة هواك .. فأضحى وهو أصفر ناحل !
رحلت .. وعمري بين كفيك آمن وما كان ظني أن تخون الأنامل !

بعينيك غيب هومت فيه صبوتي فلا هي زالت .. لا ولا هو زائل
أحاول أصحو منه .. أعلم أنه مصيرى ـ كحزني ـ غير أني أحاول !
صبية .. أطياف من الأمس لا تني تخمشني حينا .. وحينا تغازل
تغيم بأجفاني العطاشى كأنها بقية عطر خبأتها الغلائل
ليالي كنا يسهر الصمت حولنا فيرعشه منا الجوى المتطاول

وأقرأ ـ كالدنيا ـ أساطير لهفتي وتصغين ـ كالدنيا ـ ورأسك مائل
وكنا تحدثنا طويلا عن المنى وكنا سبقنا الوهم .. والوهم ذاهل !
وكنا نوارى الشوق .. نكتم صوته نكفكف أيديه .. وكان يغافل
ليال .. تعرت للهوى وتدثرت وها هي ولت وهي عذراء .. حامل !



أعتقد أن شخصية النبي محمد لم تدرس حق الدرس الى اليوم في البيئات الاسلامية لان المسلمين يجعلونه رسولا في جميع الاحوال : فهو لا يتقدم ولا يتأخر الا بوحي من الله ، ولا يأخذ ولا يدع الا باشارة من جبريل .

ومعنى ذلك أن شخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبوية لا انسانية .

يضاف الى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تكتسب ، وهم يعنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد في سبيل المعاني السامية ، وانما هي فضل يخص الله به من يشاء .

وانما غلبت هذه العقيدة لان الاسلام نشأ في بيئات وثنية ، أو خاضعة للعقلية الوثنية ، والرسول لم يشق بين قومه الا لانه حدثهم بأنه بشر مثلهم ، ولو أنه كان استباح الكذب فحدثهم بأن فيه عنصرا من الالوهية لوصل **الى قلوبهم بلا عناء .**

الواقع أن محمدا كان آية من آيات التاريخ ، ولكن كيف ؟ لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسوءكم . فبنو آدام يصلحون لكل شيء الا سماع كلمة الحق .

أراد الله أن يكون الاسلام اعزازا للفكرة الانسانية ، ولكن بني آدم يؤذيهم ذلك ، لانهم خضعوا لالوف أو ملايين من الاوهام التي تشل القلوب والعقول .

كان محمدا انسانا بشهادة القرآن ، والقرآن كتاب سماوي نص على أن محمدا انسان ، وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الاسواق !.

وفي غمرة هذه الضلالة نسيت النواحي الانسانية في حياة الرسول ، والا فمن الذي يصدق أن رجلا مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ؟

ولاي سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول ؟

انهم يصنعون بتاريخ الرسول ما صنعوه بتاريخ الامة العربية ، لانهم أرادوا أن يخضعوا خضوعا تاما للمعجزات ، فالنبي لم يكن رجلا عبقريا وانما خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود ، والعرب لم يكونوا أمة قوية وانما ارتقوا بفضل الرسول .

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال : ان الله خص محمدا بالرسالة ، لانه كان وصل الى أسمى الغايات من الوجهة الانسانية ، ولا أن يقال : ان الله اختار ذلك الرسول من العرب ، لانهم كانوا وصلوا الى غاية عالية من قوة الروح .

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أمشي على الشوك وأنا أقيد هذه الفكرة الفلسفية ، لان بني آدام يحتملون جميع الافكار ، الا الافكار المتصلة بحيوات الانبياء .

ثم ماذا ؟

كان محمد انسانا قبل أن يكون نبيا ، وذلك من أعظم الحظوظ التي غنمها في التاريخ ، فسيأتي يوم قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الامور الغيبية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد .

كان محمد في سريرة نفسه انسانا يخطيء ويصيب ، بدليل ما وجه اليه من اللوم أو العتاب في القرآن ، وهو قد خضع للضعف الانساني فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه ابراهيم ، وهو قد عانى الحب والبغض كسائر الناس، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب ، وهو قد تألم من غدر الاصدقاء ثم لم ينج من الكرب عند سكرات الموت .

أحبك أيها الرسول !

أحبك لانك كنت انسانا له ذوق واحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك في أن تكون حاكيا لوحي السماء ، وما أنكر وحي السماء ، ولكني أومن بأن في السريرة الانسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبي أعز السريرة الانسانية .

أليس دينك هو الدين الذي تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول وأشتهي أن أتخلق بأخلاقك السامية . أحب أن أكظم غيظي كما كنت تكظم غيظك . أحب أن أسلم بجهادي من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس . أحب أن أفر من الشيطان كما فررت من الشيطان ، على شرط أن أحب الحياة كما أحببت الحياة .

أتدري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

لانك أول من شرع الديمقراطية بين الانبياء . ألست أنت الرجل الذي كان يتبذل في أكله ويقول : « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد » .

أتدري لماذا أحبك أيها الرسول ؟

أحبك لانك جعلت الحرب في سبيل الحق شريعة من الشرائع وهي مزية انسانية ، وكان الانبياء من قبلك يكتفون بالتفكير في عجائب الملكوت !

أحبك لانك أعلنت حبك لطيبات الحياة واحتقرت الرهبنة والانزواء في المعابد والصوامع .

أحبك لانك انتقلت من المعلوم الى المجهول

أحبك لانك أعززت الشخصية الانسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب .

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

ما رأيك فيمن لا يرضيهم أن تكون انسانا يتذوق أطايب الحياة ويلهو أحيانا بالمزاح المقبول ؟ .

ما رأيك فيمن يحاربون الفنون والاداب باسم الدين؟

ما رأيك فيمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والاريحية ؟ .

ما رأيك فيمن يخرجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتسم بسمة الحب لاطايب الحياة ؟ .

أنت حاربت الزهد ، وحاربت العبوس ، وحاربت اليأس ، ولكن بعض الناس يرون الايمان لا يكمل الا عند من يغرقون في لجج المسكنة والكآبة والقنوط .

كنت انسانا أيها الرسول قبل أن تكون نبيا ، وتلك الانسانية هي التي فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس، وهي التي جعلتك تنظر الى ضعفهم **بعين العطف** ، وهي التي قضت بأن تذوق ملوحة الدمع في بعض الاحيان .

أنت نزهت نفسك عن الشعر ، الشعر المحبوس في قواف وأوزان ، ولكني لا أنزهك عن الشاعرية العالمية التي تواجه الوجود بنظر ثاقب ، وقلب حساس .

وكيف تخلو من الشاعرية وقد خلوت الى مناجاة القلب في غار حراء ؟

كيف تخلو من الشاعرية وقد كنت رجلا فحلا يجيد اختراع المعاني ؟

أنا أعرف لماذا نزهت نفسك عن الشعر أيها الانسان الحساس ، انما نزهت نفسك عن الشعر لان الشعراء في عصرك لم يكونوا عظماء الارواح .

والا فأي شعر فاتك وأنت تدعو الى التفكير فيما خلق الله من غرائب وأعاجيب ؟

أي شعر فاتك وأنت الذي أشار بالافضلية في الامامة لمن وهبهم الله حسن الوجه وجمال الصوت ؟

أي شعر فاتك وكان شخصك الكريم قيثارة تتغنى بمحاسن الوجود ؟

أي شعر فاتك وأنت تجعل السير في الارض من واجبات الرجال ؟

الان عرفت لماذا يضن عليك بعض أتباعك بصفة الانسانية ، انما فعلوا ذلك لانهم في ذات أنفسهم لا يؤمنون بعظمة الانسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع عليك ثوب الالوهية لان الله خصك بأجمل مزية من مزايا الانسانية وهي الصدق .

لقد فكرت مرات كثيرة في الاقتراب من روحك فلم يعقني عائق لان بيني وبينك وشيجة من الانسانية ٠

ودعاني الشوق مرة الى مسامرة خيالك فرأيتك انسانا كاملا لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الاصدقاء ٠

وصحبتك مرة في بعض غزواتك فهالني أن تكون رجلا نبيلا يصبر على الظمأ والجوع والاذى في سبيل الحق ٠

وشهدتك وأنت تعاني الكرب من فضول الناس وتزيد المنافقين وتقول السفهاء فعرفت أنك انسان ممتاز ، لان الابتلاء بأذى الناس لا يكون الا من حظوظ الممتازين بين الرجال ٠

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسي ابنتك فتقول : « لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب في الدنيا مقصور على عظماء الرجال ٠

شهدت من أخلاقك وشمائلك ما شهدت ، أيها الانسان الكامل ، فزدت اقتناعا بأنك على خلق عظيم ٠

ولكن ما هي العظمة في خلقك ، أيها الرسول ؟

أنت رويت القرآن عن جبريل فيما يقول المؤمنون، وأنشأت القرآن فيما يقول الملحدون ٠ وهذا القرآن فيه لوم كثير وجه اليك ، فان كان وحيا من السماء فأنت غاية الغايات في أمانة التبليغ ، وان كنت أنت منشىء ذلك الكتاب كما يتقول الملحدون فأنت غاية الغايات في أدب النفس ، لانك سجلت ما آخذت به نفسك في كتاب مجيد ٠

وأين الرجل الذي يدين نفسه بنفسه كما صنعت أنت حين رويت القرآن أو حين أنشأت القرآن ؟

لقد وضعت أعظم دستور للسريرة الانسانية ، وهو دستور الصدق ، يا أصدق من عرف التاريخ من الرجال ٠

أما بعد فقد ارتاض القول بعد جموح ، وصار من السهل أن أحكم بأن النبوة عهد من عهود العظمة في الطبيعة الانسانية ، ولولا خوف الفتنة لزدت هذا المعنى تفصيلا الى تفصيل ٠

محمد انسان ، ولكنه انسان مظلوم ، لان أتباعه جردوه من فضل الاجتهاد في سبيل الخير والحق والجمال ٠

وهنا تظهر مزية جديدة لذلك الرسول هي نكران الذات ، فلو كان محمد رجلا من أمثال فلان وفلان من الذين نقلوا أممهم من حال الى أحوال لملأ الدنيابالحديث عما وضع للحياة من أصول وقوانين ٠

ولكن محمدا كان يحب أن يعيش مسكينا وأن يحشر بين المساكين ، وقد جزاه الله خير جزاء ، فخصه بالعظمة في الحياة وبعد الممات ٠

محمد بشر مثلكم يا بني آدم ، وقد دعاكم الى التخلق بأخلاقه ، ولم يكتف بذلك ، بل دعاكم الى التخلق بأخلاق الله الا الكبرياء ٠ فهل رأيتم انسانية مثل هذه الانسانية ؟

محمد تحدث عن هفواته ــ ان كان له هفوات ــ ليدلكم على أن العظمة الحقيقية لا تكون الا باتهام النفس والحذر من طغيان الاهواء ٠

كان محمد يقول في صدر خطبته « أيها الناس » أو « يا عباد الله » ، وأنتم تقولون في صدور الخطب « أيها السادة » أو « سيداتي ، سادتي » ٠ فتأملوا الفرق بين العبارتين لتعرفوا أنه كان يبتعد عن تملق الاهواء ٠

استطاع محمد أن يتحدث عن هفوات الانبياء ، وعجزتم أنتم عن الحديث عن هفوات الزعماء ٠

فاعرفوا ــ ان شئتم ــ أن عظمة محمد من الوجهة الانسانية هي تمجيد الصدق والخوف من زيغ القلوب ٠

قد تقولون : ان الله أوحى اليه أن يكون كذلك ٠

وأجيب بأن أكمل خصيصة من خصائص الرجال هي الصلاحية لتقبل السماء ٠ وللسماء وحي في كل وقت ، ولكن أين القلوب التي تسمع ؟ ٠

ان محمدا حدثكم بأن الرجل يستطيع أن يخاطب ربه بلا وسيط ٠ فأين المسلم الذي فهم أسرار الحروف واتجه بقلب الى مناجاة فاطر الارض والسماء ؟

أين المسلم الذي تأدب بأدب الرسول فعرف أنه مسؤول أمام الله لا أمام الناس ؟

والان أرجع الى نفسي فأقول :

كان محمدا انسانا ، ولكنه كان أعظم من جميع الناس لانه لم ير الغنيمة في غير المعنويات ٠

كان محمد يستطيع أن يبني لنفسه دارا تشبه ايوان كسرى ، وكان يستطيع أن يبني لنفسه قبرا يشبه هرم فرعون ، ولكنه آثر أن يحيا ويموت وهو في متربة المساكين ٠

ان محمدا ظلم نفسه لينتصر ويفوز، وقد انتصروفاز

ان محمدا حرم نفسه أبهة الملك، وباسمه عاش الملوك

ان محمدا حرم نفسه الشهرة باجادة البيان، وبفضل الكتاب الذي بلغه عاش البيان ٠ فيا رسول الله ويا امام العرب والمسلمين اليك أوجه أصدق الثناء ٠

الموقف الانساني في الوجودية

ادوار خراط

الوجودية هي اليوم تيار يصح أن ندعـوه فلسفة السوق ، أي فلسفة تهتم أساسا بالرجل العادي ، برجل الشارع ، بالانسان الذي يضطرب في حياته اليومية ، في المدينة ، وفي العالم . صحيح أن للوجودية فلاسفتها الذين أقاموا مناهجهم الفلسفية بالمعنى التقليدي للكلمة، أي أقاموا مناهج ونظما يقصد بها الى المختصين في الفلسفة ، موضوعة في لغتهم الخاصة التي قد ترقى عن مألوف غير المختصين ، ولكن الوجودية ، في موضوعها وفي قصدها ، انما تتجه كما قلت ، الى انسان السوق ، لا الى الفيلسوف . فهي تتخذ القصة مثلا والرواية ، والرسالة والمسرحية ، والمقالة القصيرة في الجريدة الذائعة ، تتخذ هذه كلها وسائل لها، تعبر بها عن اهتمامات الانسان ، كل انسان ، اهتماماته المباشرة في نفسه ، الملتصقة بالاخص من خصوصياته ، اهتماماته التي قد تكون غافية في أعماقه ، لكنها هناك مع ذلك ، تتربص به وتجري مع عنصر حياته الحميمة الذاتية، لانها بالضبط اهتمامات تساؤله عن نفسه ، عن موقفه مما يجري في داخله وفيما حوله، تساؤلات ملحة أحيانا، ورفيقة أحيانا ، لكنها لا مهرب منها ، فهي تساؤلاته عن وجوده وعن مصيره وعما يحيط به ، ويكون اللحمة والسدى من كيانه .

الموقف الانساني .. ماذا يقصد بالموقف الانساني هنا ؟ لا معدى لي أن أفرد اليوم لهذه العبارة معنى خاصا من معانيها المتعددة الشائعة ، ولا أقول الغامضة المتميعة . وانما أقصد هنا بالموقف الانساني موقفا لعله أن يكون البؤرة من المشاكل التي تثيرها الوجودية ، تثيرها ربما بدون حل يتوفر فيه ما لكل الحلول من نهائية واغراء وترضية ، وانما تثيرها على أي الاحوال ، بشكل ينبض بالحياة وبالقوة والنفاذ ، بل بالعنف والحدة المتوترة الموقظة .

الموقف الانساني هو موقف الانسان في العالم ... والعالم الذي يجد الانسان نفسه فيه ، عالم لا انساني ، بل عالم معاد للانسان ، كثيف غريب مقلق وغير مفهوم ، متقلب في شتى مظاهره ، وراسخ مع ذلك ، وبعيد لا يمكن الوصول اليه . فمن ذا الذي يزعم مثلا أن الانسان مستطيع أن يصل الا الى الاشياء ، ان يعرفها بتلك المعرفة الحميمة التي ما يفتأ يتوق لها توقا حارا مستبدا به ، تلك المعرفة الوحيدة الحقة التي يعرف بها مثلا احساسه بنبضة دمائه، وبتحرك احشائه بالرغبة والنفور ؟ لا . بل يظل العالـم عنه أبدا غريبا ، جدرانا عالية مفروضة عليه ، تدور به أينما اتجه . وهو مع ذلك موجود بازائها ، غير مستطيع أن يعتاها، ووجدانه بها لتستهدف أبدا الوحدة والموضوع والتوازن ، وثم شوق لا غالب له يحكم هذا الوجدان ، ويدفعه أبدا الى تلمس البساطة والجلاء والالفة ، في نفسه وفي العالم . ولكنه ما دام يلتزم الاخلاص الكلي ، وشجاعة هذا الاخلاص ، فلن يجد في نفسه ، وفي العالم، الا التنوع والتشتت والتناقض الذي يكاد أن يسحقـه والغرابة المقلقة التي تنكره ، والصمت الصخري الجامد الرهيب ، يطالعه حتى من رقة السحابة في صـفو السماء المصبحه ، حتى من نعومة اشعاع النجمة التي تلمع من بعيد في مساء الغروب .

هذا اذن وما يترتب عليه من نتائج .. القلق واليأس النبذ أو التمرد ، أو الهوى هو ما قصدت أن أسميه الموقف الانساني في هذه الكلمة . وسوف اغفل مضطربا ما يمكن أن يندرج تحت هذه العبارة من معان ، لعلها لا تقل عن المعنى الذي ذكرته في أهميتها وفي مشروعيتها لان تسمى بهذا الاسم ، كموقف الانسان من الغير ، من الاخرين ، وموقف الانسان من المجتمع باعتباره ، ذاك ، أي باعتباره قيدا يأتي على حرية تشترط به حريته ، وما يتأتى عن كل ذلك من علاج لمسائل الاخلاق والالتزام والحرية ، وكلهـا مسائل حيوية تشغل مكانة أولية في الوجودية ، وتتأتى عن تحديد موقف الانسان في العالم ، بل تشتبك معه .

الوجودية تتناول الوجود الملموس الواقعي ، وهي

تؤكد حقيقة هذا الوجود ، وتعتبره نهاية ذاته . الوجود هو باستمرار فعل الوجود ، الذي يعبر عنه بكل ما يتخذه الوجود من مظهر وبكل ما يتحقق له من امكانية . الوجود لا يعتمد على شيء يسبقه ، لا مبدأ له ولا أساس له الا تأكيد ذاته . وهو بهذا يتقدم كل ماهيــة متميزة عنه ، باعتبارها أساسا لا زمنيا ، سواء كانت تلك الماهية امكانا خالدا قائما من قبل ، في قلب الماهية المطلقة أو الفكر المطلق ، أو كانت امكانية دائمة تعاصر فعل الوجود ويمكن أن يتشكل بها هذا الوجود .

أحس أن هذا الكلام يحتاج لشيء من التبسيط أو التقريب ، ولكني أخشى أن يخل التبسيط بالمضمون . لنفرض أن مهندسا يريد بناء منزل . فعليه أولا أن يضع تصميما للمنزل يتصوره ويقدره ثم يخطه على الورق ، ومن ثم يبني المنزل وفق هذا التصميم . نستطيع أن نشبه الماهية بهذا التصميم أو تلك الخطة التي تتحدر أولا في العقل . أما الوجود فهو تال لهذه الخطة وتابع لها يتشكل بها . وقد كان معظم التفكير الفلسفي يتبع هذا المنهج ، فيتصور للاشياء ماهيات قبلية أو أولية ، ويتصور للانسان ماهية سابقة على وجوده ، هي مجموع الخصائص الجوهرية التي يتميز بها عن غيره ، ويشترك فيها كل أفراده . ويتصور أن وجوده يتحقق وفقا لهذه الماهية الانسانيـة وينزع به ، أو ينبغي أن ينزع به ، نحو تحقيقها بالفعل .

لكن الوجودية ترى الوجود متقدما على كل ماهية ، وهي انما تقصد الانسان أولا وأساسا بل هي تقصــد الانسان الفردي المتميز المحسوس ، المتحدد في الزمان وفي المكان ، وهي لا ترى ثمة طبيعة انسانية سابقة على وجود هذا الانسان أو ذاك ، ومتحددة سلفا بحيث تحكم وجوده . والوجود عندها يسبق الماهية ، ويشرطها ، ويحددها . ويظل يعاصرها . وهي لا ترى الوجود الا خاصا بالانسان . فالانسان أولا هو لوجود الخالص الاساس البدائي ، ملقى به في العالم ، غير مستند الى شيء في خارج ذاته ، ولا أمل له في أن يعتمد على شيء خارج ذاته ، هذا الوجود يتخذ هنا ماهيته اذ يتحقق ، اذ يمارس الافعال ، بحرية ، ودون اجبار على أن يتخذ ثمة ماهية محددة من قبل ، ولا أن يحتذي ثم نموذجا مفروضا عليه .

والوجود هنا ليس صفة ، وليس تعميما ، وليس تجريدا . بل هو الحقيقة الحية للوجود ، في كل حالة على حدة ، هو نفسه فعل الوجود غير منفصل عنه ، هو نفسه تاريخه وزمانه ومكانه وتحقيقه بالتحديد . وهو نفسه كل الافعال التي يمارسها الكائن ما دام موجودا . والانسان ليس الا ما يقوم بفعله ، وليس ثم فرق بين الوجود والفعل .

وعلى هذا فالانسان وحده هو الذي يوجد الفعل . أما الاشياء فهي كائنة ، لانها مقيدة بحدودها سلفا ، ولانها لا تستطيع أن تختار نفسها . بل ان الانسان لا يوجد الا اذا مارس فعل الوجود بهذا المعنى ، أي اذا مارس حريته واختياره ، وتحمل عبء مسؤوليته . أما ذاك الذي يسير في الطرق المرسومة ، ذاك الذي يتبع الجمهرة دون وعي ودون اختيار ، فليس له وجود حقيقي صادق . بل أكثر من هذا ، فلا يكفي القيام بالاختيار مرة واحدة ، لا يكفي أن نقع على صيغة ثابتة واحدة للوجود ، فاذا بي أختــار نمطا ما ، كأن أكون شاعرا أو رجل أعمال ، صلبا أو هينا ، محبا أو جافيا ، بل يتعين أن يتطور الوجود باستمرار تخطيا وصيرورة ، وتغيرا واستعلاء ، في كل لحظة .

من هذا التبصر لوجودنا ينبثق الموقف الانساني أمام العالم ، وفي العالم . فهذا الوجود الذي لا يسبقه شيء ما ، والذي لا تحدده ولا ترشده ، ولا تهديه ماهية ما ، هـذا الوجود الذي لا يقوم الا مستندا على ذاته ، ومؤكدا لها ، لا يهتم به شيء ما في خارج ذاته ، هذا الوجود الانساني هو وحده الذي يوقظ الاشياء من جمودها الصلب المحكم ، هو الذي يبعثها من موتها ولا مبالاتها ، هو الذي يلقي عليها بذوره الغريب المؤلم ، بحيث يوجد العالم اذن ، يتخلق بتخلق الوجود ، وعندئذ ينفجر في الوجود معنى القلق ، القلق الذي يحيط بالانسان في كل خطوة ، لانه موجود قد اكتشف وجوده ، فعليه أن يفعل ، عليه أن يختار ، وليس ثم هاد له على الاطلاق في هذا الاختيار ، وليس ثم تغريه ولا راحة . والسماء صامتة فوقه لا توحي اليه بشيء بــل تلهمه بالغرابة وعدم الاهتمام ، والكون حوله يــكاد أن يهرسه ببعده عن كل ما هو انساني ، بتنوع ظاهراتــه وتناقضها وتشتتها ، واندفاقها في طريق غير مفهـــوم ، بعمقها وتعقدها واختلاطها ، وتحديها لكل جهــد يتلمس فيهــا صفاء أو بساطة تتسق مع نزوع الانسان للوحدة والالفة والجلاء .

والانسان الوجودي قد وجد بمحض صدفة لا تفسير لها ، دون ضرورة ودون سبب ، وعليه أن يوجد في كل لحظة ، دون أن يكون في يده بصيص من نور يمسح عنه وجع هذا القلق الممض ، أو يرفع عنه عبء هذا الاختيار المتجدد أبدا الذي عليه أن يختاره ، حتى لو استكان الى الرفض ، أو الى عدم الاختيار ، فهو قد اختار مع ذلك ، وعليه أن يجدد هذا الاختيار . الحرية عند الوجوديين تكاد أن تنوء بثقل مرهق يفدح الانسان ، ويشعره باستمرار ، بأنه ملقى هناك في العالم ، دون أمل في النجاة ، دون نبراس ، دون نجدة ، منبوذا وحده ، ومهجورا يحمـل وحده عبء انسانيته وعبء وجوده .

من هنا نحس أن الوجودية تحققت ، نمقت كل تجربة وكل تعميم ، وانها تتعمق في وصف وتحليل مشاعر وأحداث فردية متجسمة . ترتفع في توهجها وحدتها وتوترها

الى ما يشبه عنف الهذيان ، لكنه هذيان الوعي المتوتر المشدود . والوجودية تنكر نهائية العلم والمنطق ، وتبرز واقعية الحياة والعمل والتجربة والحس ، وتستمد ماء حياتها من تجارب انسانية مرتعشة بالنبض ، تتسم بالاصالة العميقة ، لانها تكاد تكون نسيج الحياة نفسه عند أصحابها .

في هذا المناخ المشترك تجري التيارات الوجودية كلها، في اتجاهاتها المختلفة ، وبهذا الجو المثقل الناقد ، تتميز عن غيرها . لكن مواقف الوجوديين تختلف في عمق الاحساس وفي نتائج هذا الاحساس .

كيركجار – سورين كيركجار – دانيمركي ، مسيحي بروتستنتي ، يعد مؤسس الوجودية والكاتب الاول الذي كشف هذا المناخ الوجودي ، هذا الجو الذي تحيط عليه سحب القلق الكثيفة ، وضغط اليأس . وهو الذي يقول حياتي كلها نداء وابتهال . وكل شيء فيها متحرك ، فكآبتي يأس مزمجر ، وفرحي متموج الصرخات ، بل هي رقصة وجد .

يرى كيركجار في الفلسفة كلها الوعي المفكر لفعل الوجود . والوجود هنا هو ، وجود الفرد ، وجودي أنا بالذات ، وجودي كفرد . فالوجود ليس تجريدا وانما هو الحقيقة التي أحياها .

والحقيقة ليست شيئا خارجا عني ، أحصل عليه كما أحصل على سلعة في السوق ، وانما هي الحياة ، الحياة التي يعبر عنها في الفعل . هي تعميق شخصيتي المحسوسة الذاتية ، والتعريف عليها يوما بيوم ، ولحظة بلحظة ، تعرفا يزداد وثوقا وقربا . فشغله الشاغل ، كما قال ، أن يصغي لهمسات أفكاره ، بل لصرخات وجوده ، وان يسير على نغم حياته الداخلية . الذاتية عنده اذن هي معيار الحقيقة ، والوجودية هي شكل احتياجه العميق لان يحدده وجوده . وهو لذلك ينكر كل نسق فلسفي ، وكل نمط مبني على البرهنة المنطقية . والمسلمة الوحيدة عنده هي مسلمة الوجود . لكن الوجود لديه هو تجربة الوجود العاطفية الفاجعة ، التي لا أستطيع أن أنقلها اليك ، الا بطريق غير مباشر ، فهي شيء لا يمكنك أن تعرفه الا باعتباره نداء يدعوك لان تعي وجودك أنت ، وتمر بتجربتك أنت . وكتابات كيركجار كلها يغمرها نوع من المسيحية الرهيبة الكئيبة . مسيحية العذاب والصلب والعتمة . والوجودية الحقة عنده هي المسيحية ، بل على الاصح هي أن تصير في كل لحظة ، وباستمرار ، مسيحيا .

وهو يسلم بوجود الزام خلقي لكن هذا الالزام يتعين أن يتفق معي ، يتعين في الحياة أن أصير نفسي ، وأن أكون أنا نفسي معيار سلوكي ، فليس ثمة مقاييس عامة ، أو ماهية قبلية ، تفرض علي فرضا من الخارج ، وانما ، بتلقائية العقل والقلب المتفق مع الحق والخير أضع لنفسي معيار سلوكي الذي هو نفسه حياتي وأعمالي . وليس من المهم أن أعلن أو أبشر بحقيقة ما ، بل ان أعيش تلك الحقيقة وأقبلها بكل نتائجها دون أن أحتفظ لنفسي بملاذ ما ، أو مهرب ألجأ اليه في اللحظة الاخيرة ، لنوع من قبلة يهوذا ، في لحظة الاختيار . الحقيقة اذن هي الايمان بها، والايمان بها دون استدلال منطقي ، وان ما يحدد وجودي هو اتفاق حقيقتي مع أعمق متطلباتي .

وخاصة الوجود هو الاختيار ، وليس الاختيار عملا عقليا باردا صاحيا ، بل هو اندفاع ، هو وثبة باسلة جريئة عبر الهوى المنطقية ، اختار بها، في النهاية شيئا مشكوكا في نتائجه ، واختياري يتم في القلق والفعل والمغامرة. لانه اختيار يتعلق بي أنا ، بوجودي نفسه ، فان اختار هو أن التزم بكل نتائج اختياري ، نتائج لا يمكن أن أعرفها الا بالاختيار . الاختيار في الواقع هو اختيار الذات ، وأنا لم أعط نفسا مهيئة جاهزة معدة ، ولا ماهية سابقة مرسومة أحققها أو أسير على هديها ، وانما نفس مجرد امكانية ، وأنا في هذا المعنى صانع نفسي ، أصنعها في المغامرة والخطر ، في الخشية والارتعاش ، وانما علي أن أصنعها ، علي أن أختارها .

وأنا اذ أختار نفسي أتعرض حتما للخطأ ، فحريتي هنا مطلقة ، وهي تعدني لقفزة في المجهول ، لا أعلم أين تقع بي ، ونقطة الاختيار . وهي نقطة الوجود المتحدة أبدا ، هي النقطة التي تلتقي فيها الامكانية بالواقع، وهي التي تكشف للوجود ذاته ، وتعطيه « انا » يحققها ، هي اللحظة المثقلة التي يقف بها الفزع والضياع والدمار ، جنبا الى جنب ، بباب كل انسان ، لان فيها الخطر ، فهي اما أن تفضي الى الحياة ، أو الى الموت .

عندما يصل كيركجار الى هذه القمة الشاهقة في حدة الوجود المتوقدة يوهج محتدم رهيب، نراه يعلق أن « الانا » يجب – اطلاقا – أن يختار ، وأن يختار نفسه ، وفقا لما فيه من اللانهائي ، وفقا لما فيه من داخله ، من الخالد . فليس وجود أصيل الا الوجود أمام الله ، الوجود الذي يرتبط بالمطلق ، بالمتسامي . الوجود بالايمان . هذا الوجود بالايمان . هذا الوجود يؤكد ذاته ، في اختيار خطير متجدد يؤكد ذاته باعتباره خالدا ، بأن يقفز عبر هوة المنطق والعقل ، وان يلوذ بالحقيقة التي هي ايمان ورغبة . فيصبح الوجود هو العلاقة بالتسامي الالهي ، هذه الصلة التي أحياها ، في هذه عاطفتي ، فأحقق ملء وجودي ، وأعيش المطلق في داخلي ، هذا هو السر الذي يدعوه كيركجار أمام الله ، أمام المسيح .

لكن اليأس يتربص بالوجود ، فالفرد مرغم على أن يختار ، وفي اختياره تكمن امكانية الخطيئة ، ان القلق

لا يؤدي الا الى الاختيار ، لكن الاختيار ينتهي باليأس ·

ولليأس عند كيركجار مدلول خاص جدا ، ومن المستحيل أن نفلت منه ، بل سوف نصل اليه ، مهما اتخذنا من طريق ·

فاليأس الذي ينتزع الانسان من نفسه ، ينتزعه من كل ما هو منته ، من كل ما هو محدود ، اليأس الذي يفضي الى اتصال الانسان بالمطلق وبالخالد ، وهو بذلك يعطي الانسان نفسه مرة أخرى باعتباره ، مطلقا وخالدا ، اليأس الذي هو علاقة مطلقة بالتسامي المطلق ، اليأس من العالم، هذا اليأس يفتح باب العظمة للانسان ، لانه اختار الانسان لنفسه ، في قيمته الخالدة ·

أما اليأس الذي يغلق الانسان على نفسه ، ويحض نفسه في سر بؤسه ، فهو أن يختار نفسه يائسا ، وضد الله · هو يأس التحدي ، أو هو غياب اليأس ·

فاليأس كما نرى جدل ، ككل شيء في الانسان ، وهو يفتح أمامه طرقا متشعبة · فاذا أفضى اليأس الى انقطاع في أعماق النفس ، الى التصلب والتهدي ، فهنا الضياع ، هنا الموت الذي ما يفتأ في كل لحظة أن يتجدد ، أن لا يموت أبدا ·

أما اذا أفضى اليأس الى أن تلوذ النفس بمصادرها الاولية ، أن تيأس في الحقيقة ، فهو اليأس الذي يوقظ النفس الى قيمتها الخالدة ·

فيلسوف آخر يتناول مقومات الوجود ، وعناصره المكونة ، فيظهر لنا لديه الموقف الانساني ، بالمعنى الذي نقصد اليه ، بكل ما فيه من ناجعة قلقة لا تستنيم · هو مارتن هيديجر الالماني · وهيديجر وفي للوجودية في انه يلبي نداء المجسم والمشخص ، وهو يستقي من المنهج الفنويولوجي أي الظاهراتي ، بوصف وتحليل المواقف المحسوسة المتحددة للانسان الفرد المتعين ، وماهية الكائن عنده تستقر في وجوده · الكائن اذن هو نفسه الامكانية المتجسمة المتحققة الكلية هو لوجوده · فهو ليس ما يملك الكائن من امكانية ، يحدث أو لا يحدث أن يتحقق ، بل هو ما يكون فعلا ، لذلك عليه أن يختار نفسه ، أن يسترد نفسه ·

والمقوم الاساسي للكائن ، هو ما يسميه هيديجر الكائن في ـ العالم ـ · وليس الكائن، في العالم شيئا يحتويه العالم ، كما يحوي الكوب الماء ، أو كما يحتوي الدرج الورق · ليس وجوده في العالم أمرا عرضيا حادثا ينضاف اليه ، يمكن أن يوجد ويمكن الا يوجد ، بل الكون في العالم هو التركيب النوعي للكائن ، هو تقويمه، ولايمكن للانا أن يصل الى ذاته ، أو أن يفكر ذاته الا مرتبطا مع العالم · مع كل تلك الخارجية التي هي ليست انا ، لكنها مرتبطة بالانا بحيث تكونها · فالانسان المنطوي على مجرد ذاته لا يمكن أن يعقل ·

وواقعة ان الكائن مرتبط بالعالم تؤدي الى الهم، الى الانشغال · فأول فهمنا للعالم ليس بالفهم النظري المجرد من العرض ، بل هو فهم عملي نفعي قائم على اهتمامنا وانشغالنا به · فالاشياء حولنا أدوات، ومفهوم أن الادوات ليس هنا ، ما يتناوله العامل أو الصانع في أمر حرفته ، بل هي ما يمكن أن يستخدم ، هي كل شيء يحيط بي واهتم له وانشغل به ·

واذن فالمجموع الذي ينخرط فيه الوجود يبدو له مجموع امكانيات تكون الكائن · والكائن هو الذي يضفي على الاشياء الواقعة في العالم معناها وامكان فهمها · فهو يجعلها تكون بالنسبة له ، والا ظلت غارقة في ظلمة الفوضى غير المتميزة · العالم اذن هو ما يبدأ به الكائن ان يكون ، هو ذلك الذي يعلن للكائن كونه · والعالم مع ذلك لا يمكن البرهنة عليه فهو يقع فيما يجاوز نطاق البرهان لان الكائن ـ أي الانسان ـ والعالم ، يخرج منهما معا ودون انفصام ذلك الكائن ، في العالم ، الذي هو الحقيقة الاولية البدائية التي لا استدلال عليها ·

لكن الكائن يعيش في مجتمع ، يحيا حياته اليومية مع غيره ، في عالم مشترك مع الاخرين يسميه هيديجر « الكائن مع » هذا الكائن مع مقوم رئيسي من مقومات الكائن ، لانه يعيش بالاشتراك مع الاخرين ، وان أكثر التجارب تأكيدا لتدل على أن الكائن مع يعتمد على الاخرين ، وهو مرغم على أن يخضع باستمرار للالتزامات المشتركة للحياة اليومية ، حتى ليبلغ من ذلك أن يعتمد عليهم حتى في أفكاره · وعندئذ يصبح الكائن غير مشخص يصبح ما يسميه هيديجر الغير « الهو » الاجتماعي · فيخضع الكائن لطغيان الغير ، لسيطرة الجمهرة ، والاغلبية ويفقد فيها ذاتيته ووجوده الحق · وذلك أن الوجود على هذا النحو المشترك المشاع يفكك الكائن ، ولان « الهو » الاجتماعي يتطلب الغاء الفروق والمميزات ، يتطلب التسوية والتسطيح ، والرجوع الى المتوسط العادي في كل شيء · يتطلب الحياة العامة المفتوحة ، بل هو يلغي

المسؤولية . هو اذن صورة الوجود الخام غير الاصيل ، هذا الوجود يتعين عليه أن يتعدى نفسه وان يتسامى على نفسه حتى يصل الى الوجود الاصيل ، وليس التسامي هنا قيمة خلقية ، عند هيديجر ، بل مجرد التخطي والتجاوز . ولن يصل الكائن للوجود الاصيل الا بوجدانه لكونه في العالم ،بالقلق .

ذلك ان الخاصية الاساسية للكائن هو أنه كائن يقع في العالم ، هو انه كائن هناك ، في المكان ، مقذوف به ، مفروض عليه الوجود ، مفروض عليه أن يحتمل وجوده كعبء ، وهو مسؤول عن هذا العبء ، صحيح أن هذا الوجدان يظل نادرا بالنسبة للاغلبية من الناس ، وانما ذلك لاننا نبذل كل جهودنا حتى نقنع عن أنفسنا ونخفي عنها هذه الخاصية الاساسية لوجودنا ، فيتخذ شعورنا بها مظهر النفور من الوجود الاصيل ، ونندفع حتى نفقد أنفسنا في ابتذال المجتمع ، وفي غمار سوقيته اليومية ، حتى نغدو غرباء عن أنفسنا .

الشعور المقوم في هذا الموقفهو الشعور بالكائن هناك ملقى به في النبذ ، وليس ذلك الموقف عارضا أو احتماليا بل هو حقيقة كياني ، ان يرمي بي في العالم ، دون أي اختيار من جانبي في ذلك ، حتى ليلتصق بوجودي شعوري بأنني مهجور معزول ووحيد . هذا الشعور هو أعمق تعبير عن نفسي ، وعن طبيعتي ، وهو ملازم لي لا يفارقني . ويتعين علي حتى أصل الى الوجود الاصيل أن أقر بهذا الشعور بالنبذ ، وان أتعرف عليه . ومن هذا الشعور يتأتى الشعور بالخوف ، والشعور بالقلق .

ان كشفا يزيح لي النقاب عن هذا الوجود المتأرجح المهتز القلق الذي حوانا ، الذي هو وجودي في العالم ، هشا سهل الانكسار ، معرضا في كل لحظة للانتهاء ، وجودي هناك دون نجدة ، وقد أرسلت الى قدري المحتوم ، دون اطمئنان ، هذا الكشف يشعرني في غور نفسي ، بالقلق ، أمام خطر محدد ، لكنه قائم باستمرار . هذا الكشف يتأتى لي من العالم ، من واقعة كياني في العالم ، هذه الواقعة الصارمة الوحشية الخشنة العارية عنكل تزويق ومن ثم تمحي كل تسلية ، ويستحيل كل فرار ، ويتعين علي أن أختار ، بشكل لا معدى ليعنه ، فاما ان أوجد في السقوط ، في الاغتراب ، في الفرار من نفسي ومن امكانياتي ، أي اختار الوجود غير الاصيل، في سوقيةالحياة اليومية المبتذلة ، واما أن أقوم بوثبة نحو ذاتي ، فيداخلي ما حقق وجودي الاصيل . وعندئذ ينهار العالم المحيط بي ، عالم المجتمع والادوات ، ويقع علي عبء حريتي ، واختياري ومسؤوليتي . عندئذ يعزلني القلق أمام كياني ــ في العالم ، بكل مافي هذا الموقف من حدة .

هذا الموقف يكشف لي أنني كائن موضوع من أجل الموت . اننا نذكر هنا كلمة باسكال ان المرء يموت وحيدا فصحيح انني أستطيع أن ألاحظ موت الاخرين ، لكن الاخرين يتوقفون ، في الموت . يمكن لاحد أن يتحمل على نفسه ، موت الاخرين . ومهما كنت في الحياة اليوميةمع الاخرين ، فأنا في الموت وحدي ، لا أحد سواي . فالانسان أساسا وتكوينا هو الكائن الموضوع من أجل الموت وكيانه هو النهاية .

ومهما قنع الناس هذا الشعور في الثرثرة اليومية ، بأن جعلوا الموت مجرد حادث عرضي مزعج ، أو مجرد واقعة احصائية ، ومهما فر الانسان أمام الموت ، فانما ذلك الى نقص في الشجاعة التي يحتاجها حتى يواجه القلق الذي ينكشف له ، بمجرد أن يضع نفسه أمام الموت، الذي هو أكثر امكانيات كيانه شخصية وقربا والتصاقا به ، وأكثرها ضرورة لا معدى عنها .

اذا وصلنا الى هذا الوجود الاصيل ، الذي يحققكل امكانياته ، وأولها امكانية الموت التي تظل باقية في كل تحقيقاته للامكانيات ، فان تقبل الموت هو انتظار الموت ، باعتباره ، امكانية دائمة مكونة للانسان ، فلن يكون الانتحار الا فرارا أمام الموت ، وفرارا من الوجود الاصيل الوجود الاصيل موضوع أمام الموت باستمرار، أمام الموت المجاور المباشر القريب .

ومن هنا تظهر الحرية أمام الموت ، الحرية لتحقيق امكانيات الوجود ، ما دامت كلها تنطوي في نهاية الامر تحت امكانية الموت .

ومن هنا يظهر التسامح ازاء الاخرين . حتى يكون الغير ما يشاء أن يكونه .

لكن حرية الكائن في تحقيق امكانيته ليست مطلقة ، فهو اذ يحقق امكانية ما يستبعد في الوقت نفسه امكانية غيرها ، وهو اذ يختار ينزل عن الاختيار . لهذا يكون الكائن أبدا سيدا مطلقا لوجوده . فالسلبية من مقومات وجوده . ومن هنا يأتي شعوره بالذنب وبالجرم ، لانه سوف يظل أبدا ناقصا غير مكتمل ، لانه سوف يظل أبدا مسؤولا عن هذا التجديد في كيانه ،ولا مفر من هذا النقص ولا من هذا التحديد ، ولامفر من هذه المسؤولية ، ولا مفر من هذا الشعور الاساسي بالذنب والجرم .

اننا نستطيع لىن نلقى الموقف الانساني عند هيديجر بكلمة واحدة هي كلمة التسامي أو التعدي والتجاوز · فالعالم يتعدى الفرد ويتجاوزه ، ويتسامى عليه ، بوجوده الكائن – في العالم · مرتبطا به ، مرميا فيه، دون اختيار ودون نجدة ، والغير يتعدون الفرد ويتجاوزونه بما يفرضون عليه من طغيان يقوم على اعتماد الفرد على الغير وتوقف حياته عليهم · والغير أو « الهو »الاجتماعي غير المشخص يغرق الفرد في غمار حياة الفضول والثرثرة اليومية ، حياة التخفي والفرار من الوجود الاصيل والاغتراب عن النفس ، حياة الاوساط المتميعين المتفككين، والوجود الاصيل يتعدى هذه الحالة السابقة ، يتعدىنفسه اذ ينحسر عنه قناع ذلك الوجود الخام ، وينكشف له القلق المصاحب لوعيه بمركزه في العالم ، وبوضعه أمام الموت ·

ثم يأتي في النهاية ، يتعدى الوجود الاصيل ويجاوزه ويتسامى عليه · فالعدم هو المتسامي النهائي في الموقف الانساني ، والعدم يحيط بالانسان ، ويغلفه ، ويقوم وجوده ·

أحب هنا أن أشير الى فيلسوف مسيحي ألماني كذلك، هو ياسبرز ، يشترك معههيديجر في الكثير ، لكنه يختلف عن هيديجر في انه يعد للانسان خلاصامن مثل هذا الفعل الموقف الخانق الضيق ، فيرى في الله تساميا هو النهاية الاخيرة لاندفاعنا وجهودنا ، تساميا يمكن أن يصبح بعثا لنا ، هذا التسامي الذي هو الكائن المطلق يشير لنا من خلال رموز الكفاح والخطأ والفشل ، والندم ، ويشير دون استدلال ، دون برهنة ، نحو الله ، الذي هو كل حالة على حدة ، الهي أنا ، الذي هو هدف وموضوع كل اندفاع ، وجودي ·

لم يعد من الممكن أن نتكلم عن الوجودية الان ، الا اذ ذكرنا عميدها في فرنسا وأكثر كتابها أسرا للاهتمام ، في الوقت الحالي ، وهو بالطبع جان بول سارتر · ومن الجوانب الخصبة في مضمونها الوجودي المتنوع ، في فلسفته وفي كتاباته الكثيرة ، الا ناحية واحدة من نواحي الموقف الانساني لديه : هي تجربة الفتيان ·

والفتيان تجربة تكتسب لدى سارتر أهمية ميتافيزيقية كبرى ، باعتبارها أكثر القيم كشفا للوجود الانساني ·

وسارتر يصدر عن هيديجر بل من كيركجار ، في تصويره للانسان – الانسان المجسم المتحدد أيضا – ملقى به في العالم ، دون عون ، دون أن يستشار في أمروجوده· وتجربة الفتيان تبدأ عند سارتر باكتشاف الوجود · ونحن نشارك في هذه التجربةاذ يصيغها في احدى رواياته:

لقد انقطع فجأة · وانكشف الوجود · وذات الطلاء الذي يكسو الاشياء · فلم تبق الا كتل بشعة ، طرية ، في غير انتظام ، عارية في عري مريب بذيء · فهوت أنفاس النافورة السعيدة ، والروائح الحية ، وضبابات صغيرة من الحرارة ، ورجل أحمر الشعر يجلس على مقعد يهضم غذاءه ، كل هذه النفاسات تتخذ مظهرا مضحكا شيئا ما · لقد كنا كلنا كومة من الموجودات المرتبكة المحرجة الضيقة بنفسها ، ولم يكن لدينا أقل داع لان توجد هناك ، وكل منا يشعر بأنه فضول وزيادة بالنسبة للاخرين ·

فضول وتزيد : تلك هي العلاقة الوحيدة التي استطعت اقامتها بين هذه الاشجار ، هذه الشبك الحديدية في الحديقة ، وهذا الحصى · وأنا ، شنيع ، مرتخ ، بذيء ، أهضم غذائي ، تصطفق في داخلي أفكار كئيبة · أنا كذلك كنت تزيدا وفضولا · بل ان موتي نفسه ليكون تزيدا ، لقد كنت تزيدا وفضولا ، حتى النهاية· العالم عند سارتر في هذه التجربة سديم مندغم لا غاية له ، ومقيء ·

« لقد تخلت الاشياء عن أسمائها · فهي هناك ، عنيدة عملاقة بشعة · وكنت أنا بين الاشياء بين مالا يمكن تسميته ، وحدي ، دون كلمات ، دون دفاع ، وكانت تحيطني الاشياء ، تحتي وفوقي وخلفي ، لا تطلب شيئا، ولا تفرض نفسها · »

والفتيان يكشف لي عن وجود الاخر ، عن وجود الغير ، جسما يوجد بين الاشياء، جثة تنضح بعرق الحياة بافراز النبض والنفس · بل هو يكشف لي وجودي انا باعتباري ذلك الجسم ، فاذا بوجداني يتعجن ، ويغدو لزجا غرويا ·

نستمع اليه يصف في احدى رواياته امرأة تحس بجنينها في احشائها وتتدبر أمر اجهاضها ·

« كانت تتأمل لحمها المصقول الحريري ، والوفرة والوادعة لهذه البراري الدسمة المغذية ، وكانت تفكر : انه هناك ، في هذا البطن ، كتلة صغيرة من الدم تتعجل

الحياة • وسوف يحكونها على طرف سكين » • أو نستمع اليه اذ يقول : « اخرجت ابهام قدمها من فتحة التمزق في ملاية السرير ، وأخذت تحرك قدميها حتى تشعر بنفسها يقظة بجانب هذا اللحم الطري الاسير (وهو زوجها) اسمعت صوت غرغرة • انها بطن تغني • وأغمضت عينيها • انها سوائل تصطفق في المصارين لكن ذلك عند كل الناس • »

يكشف الفتيان اذن عمق الكينونة ، ويجردها من طلائها وأسمائها التي تخفيها عنها ، فنحن في العادة نحيا دون أن نرى الاشياء بل نكتفي فيها بمجرد التعرف على بطاقات لها ، تعيننا في تدبير أمور حياتنا اليومية، لكن الفتيان يفضي الى رؤية جديدة للعالم ، فيظهر لنا الوجود ، في سخفه الاساس ، فهو يوجد ، هو يوجد هناك ، دون سبب ، انه يمتلك ولا مبرر له مع ذلك ، هو لا يرجع الى شيء آخر غير ذاته ، ويتجاوز الضروري والممكن ، لانه عفوية بحتة لا يمكن استنباطها ، هو الاختناق الذي ينجم عن اكتشاف الوجود • فاذا الوجود يغزوك ، ويتوقف فوقك ، ويثقل على قلبك ، كحيوان ضخم لا يتحرك •

في هذه الكتلة المتعقدة المتحجرة يحدث ثم شرخ ، ثم فراغ، هذا الشرخ في امتلاء الوجود هو الوجدان الانساني ، هو فراغ الانسان الذي يندفع دوما نحو تحقيق ذاته ، لكنه لا يحققها ، في امتلائها ، أبدا •

ووجداني بالشخص الجذري الوجود يفضي بي الى الحرية • بل ان وجودي نفسي هو حريتي • فأنا أوجد اذ اختار حرا • وفعل وجودي هو فعل حريتي • فليس ثم قيم سابقة علي • وليس ثم قواعد مرسومة في السماء ولا في الارض ترسم لي سلوكي • وأنا وحدي الكائن الذي توجد به القيم ، لكني مع ذلك لا تبرير ولا عذر لي : أنا أساس القيم ، التي لا أساس لها • وهو ما أحسه في القلق • والقلق هو فهم الحرية لذاتها ، بل يزداد قلقي اذ أعرف أن القيم موضوعها الشك ، اذ يمكنني أن أعكسها ، ما دمت حرا •

يوجد الانسان اذن في العالم ، فاذا اكتشف وجوده في الفتيان ، واكتشف سخف العالم ولا معقوليته ، كان عليه أن يختار نفسه بعد ذلك ، فاذا وجوده يتحدد بهذا الاختيار الحر الذي لا يمليه عليه شيء ، هذا المجهود الذي يتم في القلق ، لان الانسان مسؤول مسؤولية كاملة مسؤول عن فردية ومسؤول عن الانسانية جمعاء • فالانسان اذ يختار الناس جميعا • وكل فعل من أفعالي يلزمني ويلزم الانسانية بأسرها ، اذ هو تكيد للقيمة التي اختارها •

فلن أستطيع اذن أن أهرب من مسؤوليتي العميقة • وعلي أن أختار في القلق ، ودون سوء نية • وسوء النية عند سارتر أن أقنع القلق وأن أخفيه عن نفسي • ولن أستطيع ذلك ، ما دمت أحس بأنني منبوذ في العالم ، وحدي ، علي أن أختار نفسي ، دون اهتداء بشيء ما ، وعلي أن أخترع نفسي ، في كل لحظة ، وبذلك اخترع الانسانية كلها • ومن هنا يأتي الالتزام • فانا عندما أختار أشرع للناس ، والتزم بالقيمة التي اختارها • ويتعين أن يتم الاختيار باخلاص كلي ووضوح كلي • ان حالة حسن النية هي حالة التماسك المنطقي الوحيد الذي لا يستهدف الا الحرية • والحرية هي أساس القيم ، ولكن لا أساس لها •

وهو يتكلم عن أحد أشخاص رواياته فيقول : « كان حرا لكل شيء ، حرا لان يصبح حيوانا أو آلة ، حرا لان يقبل أو يرفض ، كان يستطيع فعل ما يشاء ، ولم يكن لاحد ما الحق في أن ينصحه ، ولم يكن ليوجد لديه الخير أو الشر الا اذا اخترعهما اختراعا • ومن حوله الاشياء تنتظر ، دون أن تاتي باشارة ما ، كان وحده وسط صمت بشع ، حرا ووحيدا ، مقضيا عليه باستمرار أن يكون حرا • »

لا أريد أن استطرد في تحليل النتائج الخلقية لموقف الانسان في العالم ، بل أعود فألخص هذا الموقف بأن أشير الى التفرقة عند سارتر بين الكائن لاجل ذاته ، والكائن في ذاته • الكائن في ذاته هو العالم الخارجي الذي نجد تصويرا فعالا له في وصفه :

مد يديه ومررها ببطء على الحجر ، خشنا مشققا، كالاسفنج المتصلب ، ما زال ساخنا من الشمس ، ضخما ومتكتلا ، مغلقا في ذاته على الصمت المنسحق ، على الظلمات المضغوطة المستكنة التي في قلب الاشياء ، امتلاء •

وأراد لو يتشبث بهذا الحجر • لو ذاب فيه ، لكنه كان في الخارج ، باستمرار •

أما الانسان فهو الكائن لاجل ذاته ، هو الكائن الذي يضع كيانه موضع السؤال ، الكائن الذي ينتظره المستقبل ، هو المشروع ، الكائن الذي هو دائما أمام ذاته

لا يثبت أبدا ، ولا يصبح أبدا هو ذاته ، هو مشروع يتفتح باستمرار ، أمام قدميه ، في طريق لا ينتهي وهو من هنا شقي ، مصاب بالفقدان ، قلق يناوشه الفزع •

الانسان ، هذا الكائن من أجل ذاته ، يميل دائما لان يحقق امتلاء ذاته ، لان يصبح القيمة التي تستقر في اللازمنية ، وتلتقي بذاتها ،لكن ذلك مستحيل ، لان الزمنية من متضمنات الكائن لاجل ذاته ، فلن يصل قط لان يحقق امتلاء ذاته ، لان يصبح القيمة التي تستقر في فرار مستمر من الماضي واندفاع الماضي والحاضر والمستقبل معا ، بل وجود • فرار مستمر من الماضي واندفاع مستمر الى المستقبل ، وجوده مشروع حر متجدد أبدا ، ومن ثم قلق مستمر وفراغ لا يمتليء • لم تبق لي لمحة أشير بها الى كاتب أخذ يفرض نفسه في ساحة الفكر الادبي فرضا تتزايد أهميته هو البير كامي • والبير كامي يرى أن الموقف الانساني هو العبث • العبث هو الرابطة بين عالم غريب غير مفهوم وبين تلك الرغبة الغلابة نحو الصفاء ، تلك الرغبة التي يرن صداها في أعمق أغوار الانسان ، هو المواجهة بين النداء الانساني وهذا الصمت اللاعقلي في العالم • هذه المواجهة المستمرة هي العبث الذي يتعين على الانسان أن يقر به لكنه لا يقبله ، ولا يمكن أن يقبله • ذلك ان الانتحار ، وقد يبدو وهلة انه الحل الوحيد لهذا الموقف من السخف والعبث • انما هي في الواقع قبول له وتسليم به ، لانه لا يحل شيء ، بل هو فرار من العالم ومن ثم للمواجهة بينه وبين الانسان ، والعالم مع ذلك حد من هذه المواجهة لا يمكن القضاء عليه أو التهرب منه •

كما ان كل موقف من المواقف التي ترمي الى اسباغ الغموض وتمييع التوق الانساني للفهم والوضوح كل موقف يهدف الى القضاء على هذا الشوق أو استبعاده أو خيانته ، هو موقف من مواقف الغسق وانتقاء الاخلاص ، هو موقف انهزامي •

فالنتيجة الوحيدة للعبث هي التمرد ، التمرد عليه تأكيد الكرامة الانسانية بازائه ، التمرد الذي يقف مع الحرية ، ومع الهوى • وفي هذا العالم السخيف تتخذ مكانها في النهاية الرقة والجسد ، والخلق والعمل ، والنبل الانساني •

ولكامي خلقية خاصة تترتب على هذا الموقف : هي خلقية شجاعة كائن منعزل في عالم يتغشى جوه الطاعون ، كائن منعزل صادق لا يلوذ الا برغبته الوحيدة في الصفاء والوضوح دون وهم ودون عزاء ، دون حاجة الى مثوبة ، ودون تضليل • خلقيته هي خلقية الكفاح ، في داخل نطاق العبث ، لمقاومة الطاعون الذي يستشري في جو العالم ، هذا الطاعون الغامض الفاتك الذي يصيب سر النفس الانسانية الرقيق ، وينتشر كسحابة سوداء في أفق الانسان المعاصر ، خلقيته هي خلقية نجدة المستضعفين ، والفهم ، وكراهة القسوة والطغيان والالية ، كراهة أسفلت المدن الضخمة المتوحشة المعاصرة ، واتاحة أن تتشرب النفس جمال الصيف والصحراء والسماء ، ولنلاحظ أن خلقيته ليست فضيلة ، بل هي كما يقول : وفاء غريزي لضوء ولدت فيه ، ضوء تعلم الناس فيه ان يسدوا التحية الى الحياة ، حتى في الالم ، حتى في اليأس • وهو في هذه النقطة يتخذ موقفا جديدا فلا يرى اللامعقول في مركز الكون ، وانما اللغز ، اللغز الذي هو معنى لا نستطيع تفسيره ، لانه باهر • ومهمتنا قبل أن نموت هي أن نواجه هذا اللغز وأن ننشد تسميته عبر كل الكلمات •

ومن هنا نرى أن كامي لا يرى في العبث نهاية الموقف الانساني ، بل هو يصدر عنه منهجا الى ما يسميه: ذلك النور الذي هو صرخة كل الاشخاص الموضوعين في الدراما القديمة ، أمام اقدارهم ، ذلك الصيف الذي لا يقهر في قلب كل شتاء •

ذلك أن الموقف الانساني الوجودي ، تلك العزلة الكونية العارية المهددة أبدا ، بين جدران عالية من الصمت غير المفهوم ، أمام مصير من العدم المحتوم ، هو موقف غير محتمل ، بما يمزقه من العذاب واليأس ، والقلق المتوتر النابض أبدا ، وهو موقف يصدر عنه الوجوديون ، اما بالتسامي في الله عند المسيحيين منهم ، واما بالعمل والاخلاص الحر ، في نطاق اليأس ، وفي مستوى الشجاعة والاخلاص الكلي ، وحسن النية • نستمع ، في ختام هذه الكلمة ، الى البير كامي وهو يقول :

« ان السلام هو في الحب ، في العمل ، وفي الخلق الصامت ، رغم كل الضجيج •• فما زال هناك الجمال ، وما زال هناك المستضعفون من الناس ، وعلي الا اخون أيهما • وما زالت الطبيعة هناك ، تعارض جنون الناس بسماواتها الهادئة ، سماواتها التي تولد كل يوم ، في نور جديد » •

العربية والتيارات الفكرية المعاصرة

د. الحبيب الجنحاني

نبادر في مطلع هذه المحاولة للربط بين التيارات الفكرية المعاصرة ذات الملامح البارزة في المجتمع العربي اليوم ، وما تطرحه من مفاهيم جديدةوبين التجديد اللغوي وتطور وسائل التعبير ضمن عدد من المنشورات الصادرة في الاقطار العربية خلال الفترة الاخيرة بالخصوص ، الى ذكر الملاحظات التالية :

أولا : ان معالجة هذا الموضوعتتسم بالطابعالانتقائي الذي يشير الى بعض علامات الطريق • ولكن الصبغة الاستقصائية هي التي ستنير هذا الطريق وتوضح معالمه • ولا مناص هنا من جهد استقصائي طويل المدى ، جهد وصفي ، تقييمي للاستعمال ، ثم فيلولوجي ، وليس العكس في نظرنا •

ثانيا : ان ندرة الدراسات حول التجديد في المفاهيم، وفي أساليب التعبير في ميدان التنظير الفكري بالذات ، ولاسيما الربط بين هذا التجديد وبين معطيات اقتصادية اجتماعية حديثة تجعل كثيرا من التساؤلات المطروحة ما تزال تنتظر جوابا علميا مقنعا • ومن هنا نأمل أن يعير أهل الاختصاص ما يستحقه الموضوع من عناية باعتباره ظاهرة حضارية لغوية تواجهها العربية اليوم •

ثالثا : اننا نؤمن أولا بمبدأ اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية ، وثانيا بأنه ليست هنالك لغة راقية ، وأخرى غير راقية ، ولغة قادرة ، وأخرى غير قادرة •

رابعا ـ ان تعريب المفاهيم النظرية والايديولوجية وما يعترض العمل التنظيري في ربط الفكر العربي المعاصر بالتيارات الفكرية العالمية الجديدة أشد تعقيدا ، وأكثر عنتا من تعريب العلوم الصحيحة ، ومن هنا جاءت أهمية الانطلاق من الاستعمال ـ في نظرنا ، لان هذا الاستعمال جاء تلبية لحاجات فئات اجتماعية معينة •

خامسا ـ ليس هنالك مجتمع عربي حديث بدون فكر عربي حديث ، وليس هنالك فكر حديث بدون لغة جديدة ، دقيقة في ادائها ، واضحة في أسلوبها تعكس رؤية شمولية كونية •

انه من المعروف ان مشكلة العلاقة بينالقديموالحديث كانت ـ ولا تزال ـ من أخطر المشاكل التي واجهها الفكر العربي مع بوادر النهضة الحديثة ، وذلك ليس على الصعيد الحضاري والعمراني فحسب بل على الصعيد اللغوي أيضا ، وكان الاستعمال هو المحك ، ولا غرو فيذلك فقد برز باعتباره نتيجة حتمية لبنية تحتية جديدة ، ولحاجات تيارات فكرية حديثة أفرزها الصراع الذي بدأت تتبلور معالمه بشكل واضح غداة تباشير يقظة العالم العربي الاسلامي ، واستمر الى اليوم •

ان عملية رصد المفاهيم الجديدة، ومحاولات التجديد في وسائل التعبير مرتبطة وثيق الارتباط بتحقيب بروز

التيارات الفكرية وتطورها فقد رافقت المرحلة السلفية في تاريخ الفكر العربي الحديث عملية احياء أشكال التعبير الكلاسيكي ، فقد كان الاديب ينصح باكتشاف اللغة العربية في تراثها البعيد ، وقد أدت حاجات المرحلة الى نوع من التحديث في المحتوى ، فظهر الشعر الوطني ، وتحولت المقامة الى مقالة في النقد الاجتماعي ، أو الادبي الهجائي ٠

ويستطيع المرء أن يوجز الرسالة الفكرية للاتجاه السلفي بشتى تياراته في الجملة التالية : (اخضاع الحاضر الثقافي للماضي الثقافي) ٠

ولما قوي تيار الفكر غداة الحرب العالمية الاولى ، وجزء صميمي منه الاتجاه العقلاني الديكارتي مس التحديث في المحتوى والشكل والمنهجية فأصبحنا نقف على مفاهيم جديدة ، ونلمس تطورا في أساليب التعبير ، ولاسيما لدى كتاب النثر من بين أدباء هذه المرحلة مثل لطفي السيد ، وطه حسين ، ويحي حقي ، وتوفيق الحكيم ، وسلامة موسى وهو من ممثلي طلائع الفكر الاشتراكي ضمن التيار المجدد ٠

ولكن بالرغم من هذه التحولات ، ومما يلوح لنا من مميزات مراحل التيارات الفكرية ، وما رافقها من تجديد في الاسلوب ، واستيعاب لبعض مفاهيم الفكر العالمي الحديث فان الحقبة كانت فقيرة في مجال تحديث الفكر العربي ، واللغة العربية في مجالي المفاهيم والاسلوب ونعني هنا الحقبة الممتدة من النصف الثاني للقرن التاسع عشر الى بداية الخمسينات ، حيث سيحدث تحول جذري ، كما سنرى فقد كانت تلك التحولات سطحية مظهرية في نظرنا ، وهي تحولات في البنية الفوقية ، وكي ندرك سطحيتها لا مناص من القاء نظرة على ما تم في البنية التحتية ٠

ان السلفية الادبية واللغوية ، ومن أبرز مظاهرها (السلفية الشعرية) في المرحلة البارودية ، قد ولدت متفاعلة مع السلفية الفكرية الدينية الناشئة في بيئة اقتصادية واجتماعية تسيطر عليها العلاقات الاقطاعية في القرن التاسع عشر ، وهي تمثل النمط المتخلف للعلاقات الاقطاعية التي رزح تحت عبئها المجتمع العربي الاسلامي طوال أربعة قرون من الحكم العثماني ٠

وقد برز التيار الفكري الجديد في نفس البيئة مع تحول بسيط في بعض الاقطار العربية يمثل ارهاصات نحو بعث مجتمع بورجوازي ، ولكن الظروف الموضوعية تضع حدا لهذه الملامح الجنينية للمجتمع البورجوازي العربي بسيطرة النظم الاستعمارية على الاقطار العربية ، وميلاد فئة اجتماعية أجنبية هي (البورجوازية الاستعمارية) ، فقد ولدت البورجوازية في أكثر البلدان العربية عاجزة وقاصرة تحتاج الى ركيزة تعتمد عليها ، وهي البورجوازية الاوروبية والبلد المستعمر بالامس القريب في بعض الاحايين

فهي — اذن — غير البورجوازية الاوروبية التي خاضت كفاحا مريرا ونبيلا عصرئذ ضد المجتمع الاقطاعي ، وايديولوجيته الثقافية ، (أي ان الثورة الفكرية الايديولوجية التي حققتها البورجوازيات الاوروبية لم تنجزها البورجوازية العربية بالاضافة الى فشلها في انجاز الثورة الاجتماعية التصنيعية والوحدة القومية ٠ اما الذي حدث فهو أن هذه البورجوازية تحركت في اطار تحولات اصلاحية بسيطة لم تمس البنية الاجتماعية مسا ثوريا شاملا) ٠

فلا غرابة — اذن — أن تسيطر الايديولوجية الاقطاعية الجبرية التبريرية على الفكر العربي الحديث ، وأن تلوذ بها البورجوازية ، كلما شعرت بالخطر ، فقد اضطرها ضعفها الى التحالف مع الاقطاع ، متحاشية خوض معركة تحديث فكري جذري ، أي القيام بثورة ثقافية حقيقية ، وهي بطبيعة الامر عاجزة عن ذلك لان التحولات في البنية الاقتصادية الاجتماعية ما تزال سطحية ٠

وهذا الوضع هو الذي يفسر لنا أن البعد عن الرؤية العقلانية ، والنظرة الجدلية القائمة على المنطق السببي لا نجده في صفوف الفئات الشعبية الساذجة البعيدة عن الثقافة ، والراكضة وراء ضمان الخبز اليومي بل نجده عميقا بين عدد كبير من مثقفي الفئات البورجوازية ، وهذا ما يزيد الامر تعقدا ، والمستقبل العربي قتامة ، فكيف تستطيع هذه الفئات المثقفة الواقعة تحت قبضة بقايا الايديولوجية الاقطاعية التبريرية أو المتأثرة بالتيارات الاصلاحية الترميمية والذرائعية تحديث الفكر العربي ، وبالتالي تحديث المفاهيم واللغة ؟

ولذا فاننا نعتقد أن الاديب السوري المرحوم صدقي اسماعيل لم يبالغ حين كتب قبل سنوات قليلة قائلا : (ان رواد النهضة ، والاجيال التقليدية المتعاقبة لم يكونوا الا استمرارا لتقاليد التبعية الادبية في المجتمع العربي القديم ، مجتمع ما « قبل المرحلة ») وتتمة لسياق حديثنا عن تحولات البنية التحتية نؤكد ان البورجوازية (لم تحقق مهماتها الثلاث الاجتماعية الانتاجية والقومية التوحيدية والثقافية الايديولوجية) في غالب البلدان العربية ، ولذا فان التحولات الاقتصادية الاجتماعية ما تزال بطيئة تتحسس طريقها ، ولهذا أثر واضح في تباين التيارات ، وعدم سيطرة تيار فكري جديد يعوض الايديولوجية الاقطاعية ، ويفسح المجال للتجديد الفكري واللغوي من جهة ، وفي اقتصار هذه التيارات على نخب فكرية ضيقة ومنعزلة عن الجماهير الشعبية من جهة أخرى ٠ وهذا الشق الثاني من المسألة يجعل تفاؤلنا محدودا تجاه آفاق الثورة الثقافية العربية مهما اتسمت تلك التيارات بسمات الفكر الطليعي الحامل لمشعل العقلانية والمنطق السببي ٠

ولنعد الان لمتابعة تطور التيارات الفكرية غداة الحرب

العالمية الثانية لنلاحظ أولا بروز التيار الوجـودي ، فظهرت روايات وقصص تدور حول موضوعات القـرية والعبث والانخلاع عن الواقع الملموس والهروب معه ، أي مايعبر عنه (بالقلق الوجودي) . وقد حاول أدباء هـذا التيار التجديد في الشكل والمحتوى، فضمنوا قصصهم مفاهيم فلسفية تتلخص في عدم الانتماء والمقصود هنا غـدم الانتماء الاجتماعي بالخصوص) ، وأصبح البرتو موزافيا مثالا يحتذى ولاسيما في رواية « السأم » وترجمت مؤلفات سارتر ، وكامو ، وكولن ولسن ، ولا تهمنا هنا رؤية هذا التيار ، ولا ما يحمل بين طياته من تناقضات ، وانما ما يعنينا في هذا الصدد هو طرحه لمفاهيم فلسفية وجـودية جديدة ، ولاسيما ما يمت عملية تنظير في الادب والنقـد والفن بتيار الفكر الماركسي الجديد .

ــ دراسة التراث العربي الاسلامي حسب رؤية تراثية جديدة تعتمد المادية التاريخية منهجا في التحليل .

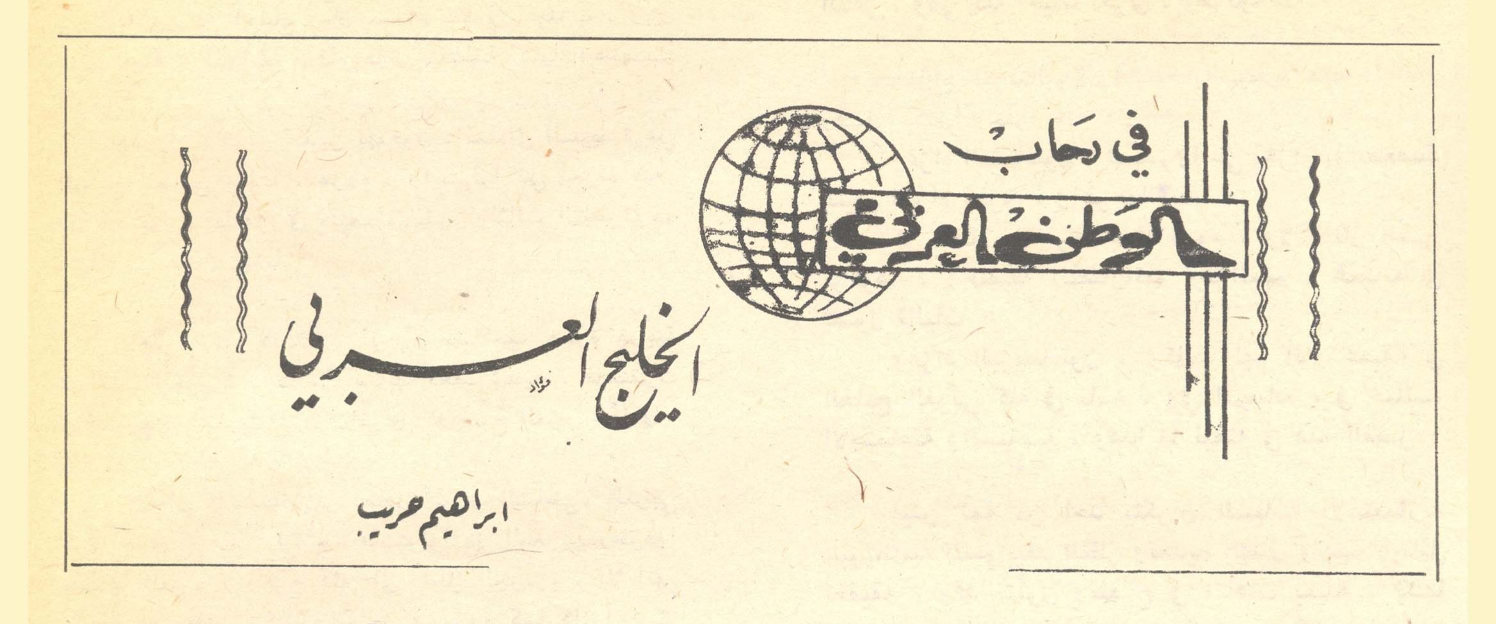
ونلاحظ هنا أن هذه النظرة الجدلية المادية الى التراث قد برزت بشكل واضح بعد الستينات ، وقد جاءت لوضع معادلة صعبة ذات محتوى جديد للتوفيق بين القديـم والجديد ، ولاسيما للربط بين المضمون التقدمي المشرق في التراث العربي الاسلامي وبين الفكر الاشتراكي العالمي ، فهو تيار يقف ضد السلفية في نظرتها التراثية ، ويقطع مرحلة جديدة نحو التقدم بالنظرة العقلانية الديكارتية التي مثلها طه حسين قبل الستينات .

ويناهض في الوقت نفسه تيار العدمية ، ويـرى أنصاره أن التاريخ الانساني السابق للمجتمع الاشتراكي تاريخ مظلم باعتبار أنه تاريخ كانت الطبقات الاستغلالية هي السائدة فيه ، ويعلل الدكتور طيب تيزيني هذا الرفض قائلا : « سوف نرفض الان هذه النظرية العدمية ، لاننـا نلح على وحدتنا العميقة مع ابن رشد وابن خلدون ، وأبي ذر الغفاري ، مع القرامطة والزنج ، مع المعتزلة وأهل الرأي المتنورين ، ولاننا نلح كذلك على وحدتنا ، عبر هـذه الشخصيات والاتجاهات العربية ، مع الفـكر الاشتراكي العلمي الوريث الشرعي لتراثنا التقدمي هذا » . انهـا محاولة جدية ــ اذن ــ للمزاوجة بين النظرية الاشتراكية والواقع العربي ، و « الهدف من ذلك هو أن نبرز بعمق وليس بشكل ميكانيكي مبسط ومبتذل ، اننا حينما نجعل من الفكر الاشتراكي العلمي الذي تكون في صيغته الرئيسية في أوروبا للقرن التاسع عشر ، نبراسا خلاقا على طريق التقدم الاجتماعي والقومي في الوطن العربي ، فانما نفعل ذلك ... انطلاقا من مقتضيات هذه الحركة الداخليـة للتاريخ العربي ، وللواقع العربي الراهن بهذا الشكل ، أي حينما نحرص على مقتضيات هذه الحركة ، وننطلق منها ، نكون قد أبرزنا الخطأ النظري والخطـورة الاجتماعية السياسية للرأي القائل بان الفكر الاشتراكي العلمي دخيل على الواقع العربي المعاصر » .

ان هذه الفقرة توجز في دقة وجلاء الهـدف العلمي والبعد النظري لمحاولة اليسار العربي الجديد في ميـدان التراث ، وبالرغم من قصر الفترة التي برزت فيها هـذه المحاولات ، ويحمل مشعلها بعض المفكرين العرب ، وهـم موزعون في شتى الاقطار العربية ، وبالرغم من سـيطرة تيارات الايديولوجية الاقطاعية ، والاصلاحية الترميمية ، والذرائعية فان هذا التيار استطاع ان يسهم في عمليـة تحديث الفكر العربي المعاصر ، ويدخل في العربية مفاهيم حديثة ، وأشكالا تعبيرية جديدة .

ونلاحظ أخيرا ما يلمسه القارىء للابحاث الجـديدة التي تطرح هذه المفاهيم الحديثة في اشكال تعبيرية لهـا مميزاتها الخاصة فيما نقرأ اليوم من الاساليب العربية من صعوبة كبرى ، وعنت شديد يواجههما الكاتب أو المترجم لانتاج فكري نظري يعكس تيارات عالمية أصبح لها ممثلون بين المثقفين العرب ، ويعود هذا العنت الشديد ــ في نظرنا ــ الى أن عملية التحديث الفكري تولد مرافقة لمعاناة التجديد اللغوي ، وتؤكد هذه المعاناة ما أشرنا اليه من أن التعبير عن هذه الرؤية التحديثية الجديدة جاء تلبية لحاجات فئـات اجتماعية معينة تمثل الهياكل الاقتصادية والاجتماعيـة الوليدة التي أفرزها الصراع المتواصل ضد الهياكل البالية والفئات التي تمثلها ، ويقف على ظاهرة أخـرى تتمثل في الوضوح والدقة غالبا فيما يكتب حول الموضوعات المتصلة بالرؤية المشار اليها ، وفي الغموض أحيانا فيما يترجم الى العربية . ولذا فاننا نرى أن هذا العمل التنظيري لتحديث الفكر العربي يجب أن يكون أولا وبالذات خلاقا ، مبدعا ، أصيلا ينطلق من الواقع العربي الموضوعي ، متفاعلا في نفس الوقت مع منبعين : منبع التيارات المضيئة المجددة في تاريخ الفكر العربي الاسلامي، ومنبع تيارات الفكر البشري المعاصر ، فتفتحه يكون في اتجاهين ، تفتح على ماض معين ، ثري وعميق ، وعلى حاضر معاصر يمثل خلاصة التقـدم الانساني ، فلا سلفية ــ اذن ــ منزوية ، جامدة قابعة بين جدران الايديولوجية الجبرية للاقطاع الشرقي الاسلامي ، ولا قطيعة وارتماء في أحضان التيارات الفكرية للرأسمالية العالمية ، أو تيارات الراديكالية اليسارية التي لا جذور لها في المجتمع العربي الاسلامي .

وإن خلق الاس النظري لهذه المعادلة الجديدة ــ وقد فشلت البورجوازية الوطنية الهجينة في تحقيقها بارتكازها على رأس المال العالمي ومذاهبه الفكرية بعد الاسـتقلال السياسي ــ يمثل هدفا رئيسيا لانصار خلق فـكري عربي جديد بعيد عن ضروب التبعية ، وأنواع المركبات .



أرض الخليج العربي ، هي امتداد لشبه الجزيرة العربية، ويشكل ساحلها الشرقي والجنوبي ، الباب الشرقي للوطن العربي ، تبدأ من مضيق باب المندب ، عند التقاء البحر الاحمر بخليج عدن ، حيث تقع الجمهورية العربية اليمنية الشعبية ، وتتجه شرقا فشمالا على ساحل بحر العرب ، حيث عمان بمنطقتها : ظفار ومسقط ، ومنهما تنطلق الى ساحل عمان ، أو ما كان يسمى « بساحل الصلح» باماراته السبع «الفجيرة» رأس الخيمة ، أم القيويين ، عمان الشارقة دبي ، وابو ظبي ثم الى شبه جزيرة قطر وجزر البحرين واقليم الاحساء ، والكويت ،

والخليج العربي حد طبيعي بين الجزيرة العربية وايران وأرضه صحراوية ، تكسو الرمال أكثرها ، وفي جنوبه وعلى سواحله اراضي خصبة تنبت نخيلا واعشابا وغيرهما ٠

وللخليج العربي موقع استراتجي هام ، انه يشرف على طرق المواصلات البحرية ، ونقطة اتصال بين العالم المحيط به ، مما هيأ لاهلية العرب ، في الماضي ، سبل المهارة بالملاحة والتجارة ٠ مما جعله حلبة صراع عنيف بين القوى الاستعمارية نفسها للسيطرة عليه والنفوذ منه الى الجزيرة العربية ، وبينها وبين ابنائه ٠

كان المصريون والسومريون والبابليون والاشريون ، أول من اهتم به ، فتطلعوا اليه ، وحاولوا غزوه مرات ٠ والبحرين ، هي التي نالت اكبر قسط من هذا الاهتمام ، وكانت، تضم المنطقة الممتدة من قطر الى البصرة التي عرفها العرب باسم « أوال » وعرفتها المصادر الاجنبية باسم « تيلوس » و « اورادوس » ٠ وقد اتخذ الفرس منها قاعدة لهم عند استيلائهم على عمان واليمن مدة قرنين من الزمن ٠٠

والاسكندر المقدوني ، بعد ان غزا مصر ، وجد انه لايستطيع احكام سيطرته عليها مادام الفرس يسيطرون على المنافذ البحرية للخليج ، وهي التي اكتشفها قائدة «تياركوس » في عام ٣٢٤ ق٠م وأدرك أهميتها العسكرية والاقتصادية ٠٠٠ فاتجه اليها ، وفتح بابل واستولى على مينائها في الفرات وأرسل قواده يجوسون خلال الشاطىء العربي ، لكن موته حال دون تحقيق أمانيه في احتلال الجزيرة العربية والاستيلاء على ثرواتها من اليخور والافاوية ، وفي ابقاء سيطرته على مصر أيضا ، وخلفاؤه لم يبدوا من بعده أي نشاط في الخليج وما تابعوا تحقيق مطامعه ٠

نشطت التجارة في الخليج العربي خلال القرن الثالث نشاطا متميزا، فالعرب الذين يقطنون على ساحل الاحساء اتجروا بالفضة واللبان والمر مع العربية السعيدة «اليمن» التي كانت تحتكرها من جهة ، ومع المدن القائمة على شطي دجلة والفرات من جهة ثانية ، وكانت القوافل تجتاز الصحراء الى مكة ويثرب ، والسفن تمخر عباب البحر الى

البحرين والبصرة • وبهذا استوثقت العلاقات الاقتصادية بين البحرين في الخليج وبين مملكة سبأ في الجنوب ، وبين مدن دجلة والفرات ، فازدهرت المنطقة كلها وعمها الرخاء •

غير أن الفرس الذين يهدفون دائما الى السيطرة على الخليج العربي برمته ، غزوه ، واستولوا على أجزاء منه، لكن أهليها استطاعوا في منتصف القرن الثالث أن يطردوهم منها ومن عمان أيضا •

وظل الامر كذلك ، الى أن انساحت هجرة عربية من قلب الجزيرة ، عندما أصابها قحط شديد ، فاستقرت في الخليج ، وعمرت المدن والقرى ، وأصبح العرب حكامها•

الا أن الساسانيين ، عادوا لغزو الشاطىء العربي كرة أخرى في عام ٢٢٠ م ، فاستولوا على البحرين وطردوا حكامها العرب ، ونزح كثير الى داخل الجزيرة ، الا أنهم عادوا بعد حين وسكنوا الساحل وعمروه كما كانوا • ثم وسع الفرس الرقعة التي يسيطرون عليها ، وثبتوا أقدامهم فيها ، وعينوا منهم حاكما لها ، واشتهروا بمعاملة العرب بقسوة وعنف ، كانت لها نتائج بارزة ، منها :

آ ــ هجرة عربية من الخليج الى داخل الجزيرة العربية •

ب ــ حلول مهاجرين جدد من الفرس •

ج ــ امتداد السلطان الفارسي الى الساحل العربي كله ، بما فيه عمان وعدن واليمن ، وخروج الاحباش المسيحيين من اليمن •

لكن هذه السيطرة لم تبق طويلا ، فقد جاء الاسلام وقضى على الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ، وساد العرب المسلمون ، على المناطق العربية التي كان يحتلها الروم والفرس ، وعم المنطقة كلها ، استقرار وازدهار حقبة طويلة من الزمن ، منحت خلالها كثير العطاء للحضارة العربية الاسلامية ، أشادت بها المصادر العربية والاجنبية• ونقلت في سفنها التي كانت تجوب البحار معالم الحضارة الجديدة ، الى العالم الاخر ، في اسيا وافريقيا •

لكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد كانت لموقع الخليج العربي ، أهمية ملاحية وعسكرية واقتصادية ، تطلع اليها المستعمرون الغربيون ، للسيطرة عليه ، والنفوذ منه الى الجزيرة العربية والى الوطن العربي

غزاه الفرس ، واستولوا على أجزاء منه حينا من الدهر ، وعلى كله أحيانا أخرى ، وطردوا منه •

وغزاه البرتغاليون وأفلحوا بالسيطرة عليه مرات ، وفشلوا كثيرا وجلوا عنه •

وغزاه العثمانيون ، فسيطروا على أجزاء ،واستعصت عليهم أجزاء أخرى ، وأخرجوا أيضا •

كل ذلك ، لا نريد بحثه اليوم ، ولا الاثار التي تركوها ، وخلفتها انتصاراتهم وهزائمهم ، فمكانه في فصول تاليات •

وغزاه البريطانيون ، وكانت لهم آثار عميقة في الخليج العربي كله في ناسه ، وفي اقتصاده ، في حياته الاجتماعية والسياسية ، وهذا ما نبحثه في هذا الفصل •

ليس ثمة من أحد ينكران السياسة الاستعمارية البريطانية تتسم ببعد النظر وتحديد الهدف وتهيئة وسائل تحقيقه ، وقد تتلوى وتتعرج في متاهات بعيدة ، لكنها تظل تحوم حول هدفها حتى تحققه •

ولقد خلقت السياسة البريطانية في كل بلداستعمرته رواسب عميقة من التخلف والجهل والفقر ، لصيانة مصالحها الحيوية ، ان كانت سياسية أو اقتصادية ، أو استراتيجية ، ولم يكن الاحتلال العسكري غاية بذاته ، وانما كان سبيلا لتحقيق غايات أكثر بعدا وعمقا ، فالعامل الاقتصادي ظل أكثر المؤثرات في سياسات الدول الاستعمارية ، وفي سبيله تنتهج كل السبل الاخرى •

بدأت بريطانيا في أوائل القرن السادس عشر ــ وبعد أن تمخضت أوروبا عن سياسات استعمارية ــ بالتطلع الى السيطرة ، ان لم تكن على العالم كله ، فعلى العالم الغني ، ذي المواقع الجغرافية التي لها أثر بالغ بالتحكم في طرق المواصلات التجارية والعسكرية •

والوطن العربي ــ لاعتبارات دينية وسياسية واقتصادية ــ كان الهدف الاول للقوى الاستعمارية ، وان لهذا الوطن مدخلا غربيا تطلعت اليه فرنسا ، وآخر شرقيا رنت اليه بريطانيا ، ولا نظن أن اتفاقا تم بينهما آنذاك ، الا ما قد ظهر ابان الحرب العالمية الاولى من اتفاقية سايكس ــ بيكو ، التي اقتسمتا بموجبها مخلفات العثمانيين •

فالمدخل الشرقي ، وهو منطقة الخليج العربي ، يعتبر نافذة على الجزيرة العربية كلها ، وهو موطن الثروات المعدنية ، والموقع الاستراتيجي الذي يتحكم في البحر الاحمر والابيض المتوسط والهندي وطريق المواصلات بين آسيا وافريقيا ، هو ما تطلعت اليه بريطانيا •

ففي عام ١٦٠٠ منحت اليزابيت الاولى ملكة بريطانيا ، امتيازا لشركة الهند الشرقية بمشروعات تجارية اقتصادية في عدن والبحر الاحمر ، ولم يكن لبريطانيا ثمة أي وجود فيهما، فلقيت هذه الشركة مقاومة من عرب عدن، حالت دون تحقيق أغراضها ، مما أثار حفيظة الساسة البريطانيين .

وفي عام ١٧٩٩ وجهت بريطانيا قوة عسكرية ، احتلت جزيرة « بريم » التي كان يسميها العرب «أميون» وهي واقعة بين خليج عدن والبحر الاحمر ، واتخذت منها قاعدة عسكرية .

وفي عام ١٨٣٥ غرقت سفينة بريطانية قرب ساحل عمان ، وبحجة انقاذ السفينة وركابها ، وجهت حملة عسكرية بحرية الى لحج ، فلقيت مقاومة عنيفة من سكانها العرب ، قادها سلطان عدن ولحج فرجعت الحملة خاسئة . الا أنها بعد أربع سنين ، أي في عام ١٨٣٩ أرسلت حملة جديدة الى عدن ، فاحتلتها . ولم تفلح المقاومة العتيدة في صدها فخلعت سلطانها وعينت مقيما بريطانيا ، وألحقتها بحكومة الهند ، ثم جعلتها في عام ١٩٢٢ مستعمرة تابعة للتاج البريطاني .

والى الشرق من عدن ، تقع سلطنة عمان ، توغلت فيها بريطانيا أيضا ، وتحكمت في شؤونها الداخلية منذ احتلالها في عام ١٨٩٨ .

والى الغرب من مسقط ، تقع عمان ، وهي تشمل عمان الشرقية والوسطى والجبل الاخضر ، وتضم سلسلة من الجبال وسهولا تقع بينها وبين الربع الخالي لم يفت بريطانيا احتلالها أيضا .

في ذلك الحين ، احتدمت المنافسة بين بريطانيا وتركيا وايطاليا ومصر ، فتركيا العثمانية لم تستطيع احتلال عدن وجنوبي اليمن وساحل عمان ، وظلت ترنو اليها لضمها باسم الخلافة الاسلامية الى امبراطوريتها الواسعة . فحالت بريطانيا بينهم وما يبتغون .

وايطاليا لها نفس المطامع البريطانية بالسيطرة على الخليج العربي واستغلال ثرواته ، وتأمين تجارتها وطرق مواصلاتها .

أما مصر ، فانها أرسلت ، بعهد محمد علي ، جيوشها فطردت العثمانيين من سورية وفلسطين ، وطرقت بعنف أبواب الامبراطورية ، ثم توجهت الى الجزيرة العربية بدعوى مقاومة الدعوة الوهابية ، فرأت بريطانيا أنها تشكل خطرا جسيما يهدد سلامة طريق الهند ، فأتمرت مع الدول الاستعمارية الاوروبية وأوقفت زحف الجيش المصري ، وعاد الى بلاده ، وقضت على الخطر الذي ظنته يتهددها .

وبهذا استطاعت بريطانيا ، بألاعيبها السياسية وبقوتها العسكرية وسيطرتها على عدن ومضيق باب المندب وغيرها ، أن تقضي على طموح منافسيها ، وبدأت توسع سيطرتها ، فاحتلت جزيرة كوريا موريا قرب ظفار في مسقط ، وجزيرة سومطرة قرب الساحل الافريقي ، وهما تعتبران مدخلا الى عدن والى غيرها من المدن الواقعة على الساحل ، ثم تسنى لها أيضا احتلال جزيرة قمران في مواجهة ساحل اليمن .

وبهذا سيطرت على جنوبي البحر الاحمر ، وأخذت تعد العدة لتحقيق أغراض أخرى ، فاحتلت جزيرة الشيخ سعيد التي تقع في جانب من باب المندب ، تواجهها على الجانب الاخر جزيرة بريم التي احتلتها قبلا . ومن هنا تغلغلت في الامارات العربية الاخرى ، وأحكمت سيطرتها التامة عليها .

ولم تشأ بريطانيا أن تبقي احتلالها العسكري لهذه المناطق خاليا من ركائز سياسية ففرضت معاهدات واتفاقات على شيوخ وأمراء المنطقة ، بعضها كان معاهدة بين طرفين، وبعضها الاخر كان تعهدا من شيخ أو أمير ، منها :

١ ـ اتفاق في عام ١٨٠٤ بين الامير سلطان بن صقر ومندوب شركة الهند الشرقية ، باقامة سلام بين الشركة ورعايا السلطان القاسمي .

٢ ـ معاهدة أبرمت في ١٨٢٠ ، تعهد بها سلطان بن صقر بتسليم القلاع والسفن والمدافع التي كانت في الشارقة وأم القيويين وتوابعهما ، عدا مراكب صيد اللؤلؤ والسمك ، وانضم الى هذه المعاهدة حسن بن رحمة وشيوخ دبي وأبو ظبي وحسن بن علي .

٣ ـ معاهدة وقعها في عام ١٩٢٠ أيضا كل من شيوخ الشارقة وعجمان ودبي وأم القيويين ، اعترف فيها هؤلاء بأعمال القرصنة ، وتعهدوا بالامتناع عنها برا وبحرا .

٤ ـ وأبرمت معاهدة في عام ١٨٤٣ بين المشايخ المقيمين على ساحل شبه جزيرة العرب ، بواسطة المقيم السياسي البريطاني ، تقضي بوقف الاعتداءات وانهاء العداوة بينهم •

٥ ـ ثم اعطى الشيوخ في أبو ظبي والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة تعهدا للمقيم البريطاني ، بعدم دخولهم في أية اتفاقية مع غير الحكومة البريطانية ، وعدم قبول أي توكيل لاية حكومة أخرى وعدم بيع ورهن أي جزء من أراضيهم بغير موافقة الحكومة البريطانية • وفي عام ١٨٩٩ وقع أمير الكويت تعهدا مثل هذا •

وفي عام ١٩٠٤ تم توقيع تعهد بعدم السماح لاي من رعايا الدول الاخرى بصيد الاسفنج في سواحل الكويت، ثم أخذت تعهدات مماثلة من أمير البحرين وشيوخ ساحل الصلح •

وهكذا ظل الامر مستتبا لبريطانيا في المنطقة كلها ، لا ينازعها فيه منازع ولا ينافسها في نفوذها منافس ، الا الوطنيين الذين كانوا يناضلون باستمرار وعناد ، لكنها كانت تطفىء لهيب ثورتهم وانتفاضاتهم عنوة تارة ، وبالاعيبها السياسية بتمزيق الصفوف واستغلال الخلافات القبلية تارات أخرى ، فقد عمدت في البدء الى تقسيم ما أسمته بالمحميات الشرقية والغربية الى نحو من ثلاثين امارة (مشيخة وسلطنة) يرتكز فيها الحكم على أساس قبلي من عادات وتقاليد •

وقبل انتهاء الحرب العالمية الاولى وبعدها سيطرت على أجزاء أخرى من المنطقة بما فيها العراق ، وأخذت ترسم سياستها البعيدة المدى لاستغلال ثروات البلاد وأحكام سيطرتها على الوطن العربي ، فعقدت معاهدة سايكس ـ بيكو ، اقتسمت بموجبها النفوذ مع فرنسا ، ثم انضمت اليهما روسيا القيصرية ، وما فتئت روسيا الشيوعية ان انسحبت منها في عام ١٩١٨ •

ومن جهة ثانية ، وتحقيقا لاهدافها الاقتصادية وأطماعها في ثروات البلاد ، أخذت في عام ١٩٢٢ تعهدات من شيوخ الشارقة ودبي وأبو ظبي وأم القوين وعجمان والكويت ، بعدم اعطاء حق استغلال البترول للاجانب • هذا الشخص الذي تعينه الحكومة البريطانية •

ونظرا للتطور السياسي والاجتماعي الذي بدأت المنطقة كلهاترنو اليها،وموجةالاستقلال التي بدأتطفوهنا وهناك ، فتحت بريطانيا عيونها على حقيقة واضحة هي أن الاحتلال العسكري لن يتمكن من السيطرة على الانتفاضات والثورات الوطنية ، فأخذت تبدل من سبل الاستعمار ليأخذ له طابعا جديدا ، ظاهره الحرية والاستقلال ، وباطنه الاستعمار والاستغلال ، بحيث يبقى قائما من وراء الوطنيين الذين يأتمرون بأمره •

ولهذا ، بدأت بمحاولات للاصلاح في عدن ، فأحدثت مجلسا تشريعيا مسلوب السلطة ، يسن ما تريده من قوانين وأنظمة ، وأقامت في عام ١٩٥٩ اتحادا فيدراليا شمل ستا من أمارات عدن الغربية كلها ،عدا يافع العليا والواحدي من الامارات الشرقية ، وظلت الشؤون العسكرية والخارجية لبريطانيا وحدها •

ولئن كان في مظهر هذا الاتحاد الفيدرالي نوع من الاستقلال ، لكنه استقلال مشلول أبتر لا قيمة سياسية أو اجتماعية له ، ووجد أحرار عمان أنهم أمام استعمار جديد يختلف عن القديم في مظهره ، وبدأوا في النضال من جديد فتألفت حركة التحرير في الجنوب المحتل عام ١٩٦٣ ، وظلت تقارع المستعمر وتناضل من أجل التحرير والاستقلال ، الى أن اعترفت جامعة الدول العربية بأنها هي الممثلة الوحيدة لارادة الشعب اليمن الجنوبي ، واستطاعت هذه الحركة أن تحطم القيود الاستعمارية فظفرت باستقلالها عام ١٩٦٨ ، وتشكلت الجمهورية اليمنية الجنوبية الشعبية •

وفي الخليج العربي ، نالت الكويت استقلالها في عام ١٩٦١ بعد أن ألغيت معاهدة ١٨٩٩ ، ثم أعلنت بريطانيا في عام ١٩٦٨ أنها ستنسحب من منطقة الخليج العربي قبل نهاية عام ١٩٧١ • وفعلا تم جلاء بريطانيا عن الخليج العربي كله في ذلك العام • بعد صراع طال حقبة من الزمن ليست بالقصيرة •

أفرزت الحرب العالمية الاولى ظواهر كثيرة ، كان أثرها واضحا وعميقا في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم كله ، ولعل أهم ما أفرزته تلك الحرب ، بالنسبة للوطن العربي الحقائق التالية :

١ ـ تنكر بريطانيا وحلفائها للوعود التي قطعوها على أنفسهم للملك حسين •

٢ - تقسيم الوطن العربي الذي تخلص من الاستعمار العثماني الى منطقتي نفوذ بين فرنسا وانكلترا تطبيقا للنصوص معاهدة سايكس - بيكو ، وترسيخ قواعد الاستعمار البريطاني في الخليج العربي كله ، بعد الانتداب على العراق .

٣ - وعد بلفور ، بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد يكون لانكفاء الولايات المتحدة الامركية ، ووضع الستار الحديدي حول الاتحاد السوفياتي بعد انتصار ثورة اكتوبر في عام ١٩١٧ ، عاملين أساسيين في بروز هذه الظواهر ، ذلك لان عصبة الامم ما كانت بقادرة على مزاولة أي نشاط سياسي ملحوظ في شؤون الدول المستعمرة ، فالحلفاء الكبار هم الذين يسيطرون على جميع مقدراتها .

لكن بروز هذه الظواهر قد أدى الى حدوث تحولات هامة في الوطن العربي كله بخاصة في مشرقه ، فالجدية التي التزمت بها بريطانيا لتحقيق وعد بلفور ، بفتح فلسطين لهجرة يهودية واسعة ، والممارسات العنيفة التي قامت بها بريطانيا وفرنسا لتمزيق الوطن العربي وقهره فتحت عيون العرب على الحقيقة الرهيبة التي كانتا تبيتانها لهم ، من تجزئة الوطن المواحد واستغلال ثرواته ، وترك أبنائه يعيشون في متاهات الفقر والجهل ، فاندلع لهيب الثورات في كل البلاد ، تطالب بالحرية والاستقلال حينا ، وبالاصلاح الاجتماعي والاداري حينا آخر ، واستمرت هذه الثورات في تلاحم وتفاعل ، بالرغم من كل ممارسات العنف والاضطهاد ومحاولات التمزيق والقهر .

وقد بدت محاولات لتنظيم نضال القوى الوطنية ، ونجحت هذه المحاولات بشكل ملحوظ ، فتألقت الاحزاب السياسية التي كانت الحرية والاستقلال أهم أهدافها ، لكن هذه الاحزاب لم تكن لها أيديولوجية تقوم على أسس فلسفية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، وانما كانت تكتلات بين وطنيين جمعهم النضال من أجل الحرية والاستقلال .

ولعل غياب المنهج العام والمضمون الاجتماعي عن دساتير هذه الاحزاب ، راجع الى أمور كثيرة منها :

١ - ان الدول المستعمرة ضربت حصارا كثيفا على العقل العربي ، فلم تتسرب اليه شيء من أفكار سياسية جديدة واضحة هزت نفوس وعقول العالم .

٢ - ظلت الحرية والاستقلال هدفا رئيسيا لكل المواطنين ، أما الشؤون الاخرى الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تثير حساسيات معينة ، ترك وضع مناهجها الى ما بعد الاستقلال .

٣ - ان بعض المفكرين كانوا يخشون من طرح ايديولوجيات مختلفة ، تثير خلافات قد تؤدي الى تمزيق الجبهة الوطنية وخلق تناقضات حادة في مجتمع ورث الجهل والفقر من الاستعمار العثماني .

٤ - عدم وضوح الرؤية للواقع الاجتماعي المتخلف ، وعدم ادراك الارتباط العضوي بين التقدم الاجتماعي وبين النضال السياسي ضد المستعمرين .

٥ - انصراف بعض الاحزاب الى التفكير بالاصلاح الاداري والسياسي ، دون تحديد أسس هذا الاصلاح ، وهذا راجع الى غياب الوعي السياسي والاجتماعي عند الكثير .

ولهذا لم تقع تحولات جذرية في الوطن العربي تتناول الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، لان مقدرات هذه الشؤون ، حتى التعليمية ، كانت واقعة تحت هيمنة المستعمرين .

ونستطيع أن نؤكد على أن هذه الفترة - ما بين الحربين - كانت فترة تبيّن ووضوح رؤية آفاق جديدة مستقبل عريض ومضيء ، أو كانت فترة وقوف على عتبات تحولات هامة في الحياة العامة وفي مختلف مجالاتها .

والخليج العربي ، ما كان بعيدا عن هذه التحولات التي قد تختلف بين قطر وآخر ، بسبب اختلاف الممارسات الاستعمارية والاجواء التي كان يخلقها الوطنيون المناضلون وتمخضت عن بداية نمو اجتماعي وقومي ، يهدف الى اصلاح اداري وتعليمي واجتماعي في مرحلة ، ينتقل بعدها الى مرحلة أكثر عمقا وأبعد تأثيرا في الحياة السياسية .

والبدايات الاولى للتحولات في الخليج العربي وقعت عام ١٩٣٨ في أمارات الكويت ودبي والبحرين ، وكان لها أثرها البليغ في الحياة السياسية وفي التحولات الجذرية التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية في الخليج العربي كله ، بسبب الوحدة السكانية وتشابه المجتمعات وأنظمة الحكم ، التي ترتكز على أسس قبلية من عادات وتقاليد موروثة ، ترفض كل القوانين التي تفرضها السلطات البريطانية لتناقضها مع تلك العادات .

وكان لتناقض الحياة الاقتصادية في الاقطار الخليجية الثلاثة : الكويت والبحرين ودبي آثار عميقة في حدوث حركات عام ١٩٣٨ ، ذلك لان صناعة الغوص للبحث عن اللؤلؤ وصيد الاسفنج والاسماك وصناعة السفن ، هي أسس الدخل القومي ، عدا البحرين التي ظهر فيها البترول في وقت متقدم ، ولكن صناعة صيد اللؤلؤ قد بارت بظهور اللؤلؤ الياباني الصناعي ورخص أسعاره واقبال الناس على اقتنائه ، أما صناعة صيد السمك والاسفنج فقد بقيت ناشطة ، لكن دخلها ظل متدنيا .

أما الاعمال التجارية فقد بقيت ناشطة أيضا ، ومنها تفتحت عيون التجار على التفاعلات الحضارية في العالم ، وانعكست على المجتمع ، فتوضحت الرؤية في كثير من حالات المجتمع الذي ظل يمور فيها ، بعد أن ظهرت نتائج النضال العربي ، وبرزت الشعوب التي تطالب بحق تقرير مصيرها .

وثمة عامل سياسي هام في حدوث هذه الحركات ، فحكومة الهند البريطانية ، هي التي كان لها وحدها حق الاشراف السياسي ، لم تبدل شيئا من الاوضاع السياسية الراهنة ، الا ما يمكن لها سيطرتها ويؤمن مصالحها .

ففي الكويت ، نمت الطبقة التجاريةعلى حساب المستهلك الذي أثقلته الضرائب وأرهقته الاحتكارات فازداد الفقر ، وساءت الادارة في الجمارك بخاصة ، وتوثقت الامتيازات الممنوحة للبريطانيين ، وتدخلوا في كل أمر حتى انتخابات البلدية ، فأدى ذلك كله الى ظهور الكتلة الوطنية التي لم تستطع البدء في أي نشاط ، نظرا للضغوط المتزايدة عليها من قبل السلطات ، الا بعد أن دعم نشاطها الشيخ عبد الله السالم الصباح .

واستطاعت هذه الكتلة أن تحقق بعضا من أهدافها في اصلاح المعارف والادارة وتنظيم المحاكم ، وتمت انتخابات المجلس التشريعي الذي ترأسه الشيخ عبد الله نفسه ، فوضع القانون الاساسي للبلاد ثم استطاع في فترة وجيزة الغاء الضرائب الباهظة ، كالضريبة على التصدير وضريبة المشتريات من خارج المدينة والضريبة على المواد الغذائية ، وخفض أجور المنازل والغاء بعض الاحتكارات والامتيازات .

وتعتبر هذه الانجازات ، بالنسبة للكويت ، حدثا هاما ، انبهرت له السياسة البريطانية وذعرت ، بالرغم من هذه الحركة الاصلاحية لم تتعرض لنظام الحكم ، ولا للسياسة البريطانية ولا للعلاقات بين الدول العربية .

لكن خشية البريطانيين من أن تفرز هذه الاصلاحات شؤونا أشد **عمقا وأبعد أثرا في السياسة البريطانية** نفسها ، لان الطبقة التجارية التي ترأست الحركة الوطنية بدأت تتحرك سياسيا واجتماعيا ، وكونت طليعة طبقة جديدة تسهم في الحركات السياسية والاجتماعية ، وتحدد اتجاهات القطاعات الاخرى في المجتمع الكويتي دفع ذلك **البريطانيين الى اتخاذ اجراء آخر يحد من تطلعات** الوطنيين الى ما قد يناقض السياسة التي يمارسونها ، فحل المجلس التشريعي في أواخر عام ١٩٣٨ ، غير أن الاصلاحات قد استمرت ، وكذلك العمل فيها ، وأعطت ثمارها في **ما بعد .**

أما في البحرين

فان الحياة الاجتماعية فيها لا تختلف كثيرا عنها في الكويت ، وكذلك الحياة الاقتصادية التي تعتمد على صيد اللؤلؤ والاسفنج والسمك غير أن عاملين أساسين بارزين في البحرين لم يكن مثلهما في الكويت .

الاول ــ ظهور البترول في وقت مبكر في البحرين ، كون طبقة عمالية جديدة تأثرت الى حد بعيد بأفكار جديدة لم تكن مألوفة في الخليج ، وكان للمواصلات والموقع الجغرافي تأثير في تسرب هذه الافكار الى المجتمع البحراني ، الثاني ــ نمو التعليم أكثر من نموه في الاقطار الخليجية الاخرى .

وقد تأثرت البحرين بحوادث دبي والكويت وبالنتائج التي تمخضت عنها ، وقد استفادت منها فائدة جلى في التنظيم وتحديد الهدف .

وكان أهم ما يقلق البحرانيين غياب مجلس تشريعي وفساد الادارة ، وابعادهم عن العمل في شركة نفط البحرين لكنهم لم يتقدموا بمطاليبهم هذه الى شيخ البحرين ولا الى البريطانيين مباشرة وانما ، رفعت الدعاية لها في الخارج وبمنشورات في الداخل فأدت هدفها ، وقامت مظاهرات بين عمال شركة النفط ، فاعتقل زعماء الحركة ، ولم تستطع أن تحقق شيئا مما تريد ، الا الموافقة على انشاء مجلس تشريعي ، نظرا لانعدام القيادة السياسية المنظمة ، ولتناقض ردود الفعل لدى البريطانيين ، لكنها أفلحت في اغناء الحس الوطني والوعي الاجتماعي والتحرك الشعبي .

وفي دبي

ان أوضاعها العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تشبه الاوضاع في الكويت وفي البحرين، الا من حيث الركود الاقتصادي الناتج عن كساد تجارة اللؤلؤ ، ورخص اللؤلؤ الياباني الذي انتشر ، والاسلوب الذي اتبع في منح الشركات البريطانية امتيازات البترول ، وموضوع تجارة الرقيق والسلاح ، الذي فجر الصراع بين المعارضين وشيخ دبي ، بما سنفصله عند حديثنا عن هذا القطر •

فالمعارضون قد حددوا مطالبهم الاصلاحية ، بايجاد ميزانية للامارة ، ورعاية الشؤون الصحية ، واعادة تنظيم الجمارك ، وتحديد مخصصات الحاكم وأسرته • وبعد مفاوضات طويلة توصلوا الى اتفاق بينهم ينص على ما يلي:

١ ـ تأسيس مجلس برئاسة الشيخ سعيد بن مكتوم يضم / ١٥ / عضوا مختارين من وجهاء القوم •

٢ ـ كل قرار يتعلق بشؤون دبي يجب أن يقره من المجلس •

٣ ـ كل دخل الامارة يجب أن يجمع وينفق بعد موافقة المجلس •

٤ ـ تخصيص الثمن من دخل الامارة للحاكم وأسرته •

ولقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية تحولات هامة وخطيرة ، غيرت من معالم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العالم كله ، وكان تأثر الوطن العربي بهذه التحولات عميقا بليغا ، تبدل فيه كل شيء •• في المفاهيم ، وفي الوعي والتطلع الى مستقبل أفضل ، بعد كفاح مرير ونضال دائب ما زالا مستمرين ، بخاصة بعد أن زرع الاستعمار اسرائيل في قلب الوطن العربي ، وأيدها ودعمها وشجعها على العدوان •

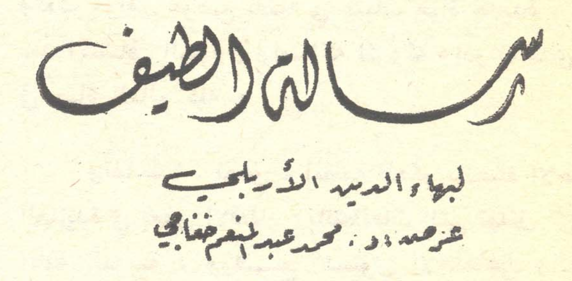
لقد انتزعت كل الاقطار العربية في مشرق الوطن العربي ومغربه ، حريتها واستقلالها ، وحدثت بعد ذلك انقلابات عسكرية في بعض الاقطار بسبب نمو الوعي السياسي والاجتماعي وظهور الاحزاب ذات المبادىء الهادفة منطلقة من واقع الامة العربية لتبديله ، للاخذ بسبل الحضارة الحديثة مع الاحتفاظ بالطابع القومي الاصيل ، وبدأت فكرة القومية العربية ، بمضمونها الاجتماعي والسياسي ، تتبلور وتتقد في النفوس والاذهان بوعي عميق ، وتطلعت الجماهير العربية الى الوحدة والتغيير الاجتماعي والسياسي في كياناتها ، والى التحرر من رواسب الماضي التي خلفها الاستعمار بشتى ألوانه ، والخلاص من الجهل والفقر والمرض •

وكان الخليج العربي قد تأثر بكل الاحداث التي وقعت حوله ، فوضع نفسه في عتبات حياة جديدة ، بخاصة بعد اكتشاف البترول وامتلاكه لثروته وادراك مدى تأثيره في حياة العالم كله •

وتفاعلت ، بعمق ، أنظمة الحكم بالحياة الاجتماعية الجديدة في بعض الاقطار وبالتطلعات التي تهدف الى وحدة الامة العربية ، ورفع المستوى الاجتماعي والسياسي والفكري ، والقضاء على كل رواسب الاستعمار •

نالت دولة الكويت استقلالها في عام ١٩٦١ ، ثم تلتها الامارات الاخرى ، وشهد الخليج في عام ١٩٧١ مولد دولة الامارات العربية المتحدة ، مؤلفة من (أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وام القيوين والفجيرة) ولم تنضم اليها رأس الخيمة لاعتراضها على دستور الاتحاد ، والبحرين لنزوعها الى الاستقلال الذي نالته في عام ١٩٧١ أيضا ، وكذلك قطر •

وأخيرا في عام ١٩٧٢ سقطت جميع المعاهدات والعقود التي فرضتها بريطانيا على أمراء وشيوخ الخليج في القرن الماضي ، ورحلت الى الابد •



— ١ —

كتاب نفيس من أصول كتاب التراث الخالد ، يرجع الفضل في العثور عليه وفي تحقيقه الى الاديب العراقي الجليل عبد الله الجبوري ، الذي عثر على أربع نسخ خطية منه : نسختين في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، ونسخة في مكتبة آل باش أعيان في البصرة ، والرابعة في مكتبة أحمد الثالث في تركيا ، وهي التي اعتمدها الجبوري أصلا ، لانها أكمل النسخ ، وهي بخط ياقوت المستعصي (ت ٦٩٤ هـ) كتبها ببغداد عام ٦٧٤ هـ ·

ويقوم منهج الجبوري في تحقيق الكتاب على شرح النصوص ، والترجمة للاعلام ، ونسبة النصوص الشعرية التي أوردها المؤلف الى أصحابها والتعريف بهم ، وهو منهج أصيل متكامل ، يتيح للقارىء فرصة الافادة والمتعة والفهم العميق ·

والفضل في نشر الكتاب يعود الى وزارة الثقافة العراقية التي أخرجته في أجمل مظهر ، وأروع حلة ·

— ٢ —

و « رسالة الطيف » من أجمل الآثار الادبية القديمة بأسلوبها البديع في النثر الفني ، ربما تجمع بين طواياها من شعر — يبلغ ٤١٣ بيتا — ومن بينه جملة من شعر الاربلي نفسه ·

ويتأثر المؤلف في الرسالة بالشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) في كتابه المشهور « طيف الخيال » تأثرا شديدا ، في الاسلوب والموضوع وان كان المنهج القصصي في الرسالة قد تأثر فيه بكتاب المقامات ·

وبين كتابي الاربلي والمرتضى فرق كبير ، هو الفرق بين عمل الفنان وعمل الناقد ، فالمرتضى في « طيف الخيال » ناقد خبير بصناعة الكلام ونقده وتحليل أسراره ، أما الاربلي فكاتب أديب متميز الديباجة ، يوقع أسلوبه توقيعا ، ويدبجه تدبيجا ، وكأنه ينظم باقة من الزهر ، أو يجمع طاقات من جمال السحر ·

وأهمية كتاب الاربلي هذا ترجع — كما يقول الجبوري — الى ما يلقيه من ضوء على حياة المؤلف ، وعلى

تطور النثر الفني في عصره ، وهو القرن السابع الهجري· وأضيف الى ذلك أنه كتب في عصر نكبة بغداد على أيدي التتار ، وفيه صور لمعالم الحياة الادبية في هذه الفترة الحافلة من تاريخ الامة العربية ··· والاعلام الواردة في الكتاب تضيء لنا السبيل الى معرفةف أعلام الادباء في عصر الغزو التتاري المدمر للعالم الاسلامي ·

ويتحدث الاربلي في الرسالة عن الطيف وما يتصل به من أمور المحبين ، كالحديث عن طول الليل ، ومعاناة السهد ومكابدة السهر ، والحديث عن قصر ليل الوصال، ووصف الاطلال والبكاء على الديار ··· وفيها طائفة من شعر أبي تمام والبحتري في الطيف ، وسوى ذلك مما استلزمته هذه السياحة الفكرية في عالم الاحلام الوجدانية·

— ٣ —

أما الاربلي أبو الحسن بهاء الدين ؛ علي بن عيسى (٦٢٠ – ٦٩٢ هـ) ، فقد تولى رياسة الكتاب في اربل بالعراق عام ٦٥٣ هـ وهاجر الى بغداد عام ٦٥٧ هـ ، أي بعد عام واحد من نكبتها على أيدي التتار ، وذلك ليتولى كتابة الانشاء في ديوانها ··· وتوفي والده باربل عام ٦٦٤ هـ · وظل هو يعمل في ديوان الانشاء في بغداد حتى عام ٦٨٧ هـ ، ففي هذا العام آثر أن يعتزل العمل ، وأن يخلد الى الراحة ، وقد يكون قد أكره على ذلك · وتوفي عام ٦٩٢ ·· تاركا بعض الآثار الادبية والتاريخية ··

والاربلي من أعلام النثر الفني في القرن السابع الهجري ويتميز أسلوبه بالطرافة والتجدد والخيال والتزام السجع وطرافته والتوقيع الموسيقي لجمله ·

— ٤ —

وفي الحق أن الجبوري في تحقيقه لهذا الكتاب يبلغ غاية الاتقان والاجادة والاصالة ، وتحقيقه عمل علمي رائع يدل على مدى الجهد الذي بذله في خدمة الكتاب وشرحه ، مع الامانة التامة في النقل والاستشهاد والاحتجاج ومع ثراء المصادر التي رجع اليها وتنويعها ·

والمقدمات التي حلى بها المحقق صدر الكتاب ، والفهارس المنوعة التي ذيل بها الكتاب تنم عن ذوق علمي رفيع ·

— ٥ —

وفي الكتاب – مع كل هذا الجهد الضخم الذي بذله الجبوري بعض الاخطاء المطبعية ، وبعض ما يمكن مناقشة المحقق فيه ، فمن نماذج الاخطاء المطبعية البيت :

حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد

وهو للبحتري (ص ١٠٠ من الكتاب) الا أنه ورد في الكتاب بلفظي (جزن اختبارا) ، وكذلك كلمة لدانا (سطر ١١ صفحة ٩٤) ، وصحتها : لدنا ·

ومما يمكن مناقشة المحقق فيه قوله في بيت أمية ابن أبي عائذ الهذلي :

الا يا لقومي لطيف الخيال أرق من نازح ذي دلال

حيث يذهب الى أن الطيف هنا يستعمل في الغضب (ص ١) ، وأظن ذلك محلا للمناقشة ·

— ٦ —

والغريب في الكتاب أنه – وقد ألف بعد النكبة مباشرة – يصور بأسلوب المقامة قصة نظرة فحب فلقاء ففراق ، وكنت أتصور أن الكتاب في عصر النكبة التي ألت ببغداد عام ٦٥٦ هـ على أيدي التتار ، سيظلون يدورون حولها جيلا طويلا ، لبشاعتها أولا ·

ولما اقترن بها من أحداث ضخمة غيرت وجه التاريخ ثانيا وكان مما لا يقع في خلدي أن يكتب أديب يعيش في بغداد بلد النكبة ، بعد النكبة بقليل ، قصة حب لا تحتوي على أي مضمون فكري أو سياسي أو اجتماعي أو وطني ، ولكن الاربلي **كان يهتم بالشكل وحده ، والشكل عنده هو** كل شيء ، وان ضحى بالمضمون من أجله · **ويبدو أن هذه** كانت هي نظرة أدباء جيله ·

وبعد فلا أملك الا أن أعبر عن اعجابي الشديد بالجهد العلمي المبذول في تحقيق الكتاب ، والا أن أهنىء الجبوري في حرارة وصدق بصنيعه المحمود ····· والله ولي التوفيق ·

ردٌ على نقد :

أغنيات للأرصفة البالية والنقدات العابرة

سمر روحي ، شاب ، دون الثلاثين ، صديق ، تعارفنا في دار مجلة « الثقافة » الزاهر ، وكانت مودة، فاخلاص ٠٠ وهو الولد الاول للكاتب الناقد المرحوم محمد روحي فيصل / في جيل السلف ، جيل الثلاثينيات والاربعينيات ـ الادنى ـ في القطر العربي السوري ٠٠

وسمر ـ كما أعرف ـ خريج جامعة دمشق ، في كلية الآداب ، اذن فهو شاب لا بد وأنه يخزن عقلا متطورا ، تقدميا ، في التعبير الدارج هذه الايام ، والافكار التي يحملها ، لابد وأن تكون (حديثة) وتعكس مفهوم الحضارة الجديدة ٠٠ وربما القادمة ، أي التي ستاتي ٠٠!

من خلال معرفتي المباشرة لسمر ـ عبر سنة حولية ـ تكشف لي أنه يؤمن بالادب التقليدي ، وحديثه الذي يدور حول الادب العربي في كل جلسة ، يكاد ينحصر بين دفتي السلف الصالح ، وبعض أعمال النحات من اللغويين / وهذا لا يضر بموقف السيد سمر روحي من الحياة الادبية الراهنة ، فكل جيل يحتاج ، بل هو بحاجة الى من يطلعه على أصول اللغة وفيزيائية الكلمات الشعرية ، وغير الشعرية ٠٠!

ومن خلال احتكاكي بسمر ، احتكاكا فكريا ٠٠ خرجت بنتيجة : أن الشاب لا يزال / أو ما زال / يعيش ضمن مفاهيم رثة وعقليات كابية ٠٠ ومع هذا، فقد دفعني الفضول الى أن أكتشف جزيرة ما ٠٠ في محيط هذا الخريج الجامعي /المدرس الجيد ٠٠؟

قدمت / كهدية / الى السيد سمر روحي الفيصل ـ نسخة من « أغنيات للارصفة البالية » نشر دار دمشق عام ١٩٧٢ ـ وهي : مجموعة من الشعر الحديث ، المنثور منه والحر والمرسل ، ومن الذي يجري على (التفعيلة) ٠٠ وجل قصائد المجموعة ، كان قد نشر في كبريات المجلات في كل من / دمشق (الثقافة ، المعرفة جريدة / الوحدة) وفي القاهرة (الشهر) وفي بيروت (الآداب ، الاديب ، الاحد) وغيرها ٠٠

قدمت لسمر روحي ، نسخة على أن يبدي رأيه الصريح فيها ٠٠ عفوا ، في المجموعة ، أو بالديوان٠٠ وقد فعل / راجع عدد مجلة الثقافة الشهرية ـ الصادر في دمشق / ١٩٦٧ ـ مشكورا ٠

الا أنه ، وقع في أخطاء فنية ، وسقط موضوعه النقدي في حفر العقليات البائدة ومهاوي التأويلات الباهتة ٠٠ وفسر (الحداثة) ـ المجموعة كما أشرت ، وتشير هي ، من الشعر الحديث ـ بواسطة معجم الالفاظ العتيقة البالية ٠٠ لا بمنظار الحياة الحديثة لمدلول الكلمات المتطورة ـ لا لزوم هنا لشرح ولادة الكلمات وطفولتها وريعان شبابها وشيخوختها ، ثم هرمها فموتها ٠٠٠ ـ في كل مرحلة ٠٠٠ / وأراد (أي سمر) ـ وهذا ما تنبي عنه مقالته النقدية للمجوعة المذكورة ـ أن يلعب بالنار عندما أطلق حكمه أو آراءه على عواهنها وترك لها العنان ـ دون أن يلتفت الى ما خلفه من أخطاء ٠٠ واليك بعضها :

الاتهام – أو الاخطاء التي علق عليها سمر روحي في أغنيات للارصفة البالية .

● ..ان هذا الشاعر ينحت من صخر وليس على الطريقة الاموية في النحت ، وانما على الطريقة المعاصرة ، فهو يريد – كما أرى – الكلام لسمر روحي طبعا – أن يكون شاعرا ، وأن يكون – عفوا – وأن يطلق الناس عليه هذا اللقب ، وقد يكون كذلك في رأي آخرين – اذ هو عضو لجنة الشعر .. في هذا القطر ، غير أنه عندي كاتب وبحاثة ...

م/ الثقافة / عدد أيار ٧٦

– النحت من صخر يكون عندما يتطرق الشاعر لموضوع يتطلب اللغة الحوشية .. والادوات المعقدة المفقودة الغالية الثمن في سوق الادب .. أو يكون الموضوع صعب – المراس – عنيدا – ولا أخال أن مواضيع المجموعة – والتي تدور حول موقف شاعر / انسان في مدينة ما لا هي بالقديمة الموغلة ، ولا هي بالحديثة الطافية .. تحيا – المدينة – حالات حياتية معينة .. في ظروف متناقضة ... ومتشابكة حضاريا..
– ثم أن المؤلف ، لا يريد أن يطلق عليه لقب شاعر ، فهو منذ نعومة أظافره يقرض الشعر .. وما انتسابه الى اتحاد الكتاب العرب – لجنة الشعر – الا بعد دراسة انتاجه الشعري والادبي من قبل (لجنة اتحادية عالية الثقافة) يا سمر ..

● الشعر الحديث في هذا الديوان بقسميه الشعري والنثري ، يفتقر الى روية وتأن قبل خروجه الى الناس ، فقد يلحظ ناقد مولع بالتحليل النفسي كثرة ألفاظ « الجنس » فيعزو الامر الى « ليبيدية نرجسية » ... اذ يكثر كاتبنا من اللجوء الى لفظة « ثدي » – الى أن يقول سمر – على أننا كيلا نظلم الكاتب – نعزو ذلك الى محاولته « تقليد » مدعي الشعر الحديث ممن كثرت عندهم نوازع الجنس ...
م / الثقافة – نفس العدد –

– هل يرغب سمر روحي أن نعرض عليه «دواوين الشعر » ومنها المجموعة / اياها ، قبل اخراجها الى الناس ، كي ينزع منها الـ « الثدي » فقط ؟ و / الثدي، يا سمر في المجموعة يعبر ويوحي بـ / الحليب – الرضاع – الغذاء .. وليس « النهد » الجنس – يا صاح ..
ومشكلة [ولها نهد كأجراس.. الخ] فهي صورة لغانية صهيونية تبيع ، ما تبيعه في مقاصير ومواخير العالم الامبريالي لينجح « شعبها » في دعواه الكاذبة والباطلة ضد العرب – على حدرأي هذا الشعب الشتات– ارجع يا سمر الى قصيدة « تاريخ الريح الشريرة » وأنت تفهم جيدا هذه القصيدة وما تطرحه « للقضية » بشكل عام .. وستجد أيضا أن الشاعر – المؤلف – ، لم يكن في مرقص أو « كاباريه » .

– ثم ان المؤلف من مواليد ١٩٢٨ نشر أول قصيدة في / الصباح عام ١٩٤٥ – أيار ، أو قبله .. ولا داعي / أو دافع / لان (يقلد) الذين يدعون الشعر الحديث في هذه الايام ، بل من المؤكد .. أن (هؤلاء) هم الذين يقلدونه ، لانه الشاعر المقصود / من الجيل الوسط الذي أول من نادى نداء عاليا وحارا وحادا وجادا لـ / تحديث الشعر العربي في القطر وتحضيره للدخول الى العالم الجديد .. وهو – أي المؤلف – أول من عالج – مع غيره من الشبان – في الاربعينات ، القصيدة النثرية – وان كانت آنذاك قد أخذت طابع الرومانسية / في هيكلها المحدث .. « راجع مجلات الصباح ، الرقيب ، الفن ، الجندي ، الجمهورية ، النقاد ، الاديب ، وغيرها ... في سورية ولبنان (٤٦ – ١٩٥٤) .

● .. وأيضا ، فالشعر الحديث في هذا الديوان لا يهتم كثيرا باللغة العربية لا من حيث الاستعمال النحوي / أحيانا قليلة لا حظ / شبابيكا – القلوبنا – تلكؤ – مررتمو – لاضيء – شتاء – الذي أنا – يالذي كنت) ولا من حيث استعمال العامية (لاحظ : الغميقة – ينجحرون – المبرغثة – الزواريب – قفاها – القباقيب – الهزهازة – مفلوشا – طرابيش – لهاتي ..)
م/ الثقافة / ذات العدد

– الكلمات / المفردات التي أوردها سمر على أنها سيئة الاستعمال النحوي/ هي صحيحة وسليمة بالضرورة الشعرية ، – أطلقت الالف في « شبابيك » لاشباع الوزن وموسيقية السطر الشعري في القصيدة ، وهذا جائز.. وعرفت بـ / ال / التعريف ، قلوبنا .. وهذه (فزلكة لغوية) وباقي الكلمات لا أريد نبش / قصر باع / سمر في اخراجاتها النحوية – في هذا المقطع .. – كي لا أسيء اليه ، وهو صديقي ..

– أما استعمال العامية في المقطع الاخير من كلام سمر .. فاليك صحته دون أدنى تعليق :

- غميقة ـ وعميقة / تصح الاثنتان ..
- جحر ـ جحرا وتجحرا وانجحر : الضب أو السبع: دخل حجره ...
- المبرغثة : يقال (برغث) المكان : كثر فيه (البرغوث) ج براغيث ...
- الزواريب (الزرب) مص ٠ المدخل ، مخبأ الصياد ـ الزرب ، موضع المواشي ، ج زروب..(الزرب أيضا : مسيل الماء .. و / الزاروب / الزقاق الطويل الضيق وأصله / الزقب ، وقد طرأ على هذه الكلمة تعديل لفظي .. كما وردت (عبر السنين) .
- قفا / الوجه والقفا ؟؟
- القباقيب : القبقاب : الحذاء من خشب جمع قباقيب ..
- الهزهازة : هزهزه ، هزهزة ، ذلله ، هزهز الشيء : حركه .. وتهزهز الشيء : تحرك ـ اليه قلبي : ارتاح للسرور وهش .. و / الهزاهز / الفتن التي تهز الناس .. الخ

ـ وماذا بعد ياسمر .. آتي لك ـ الى دار مجلة الثقافة ـ بقواميس اللغة جميعها لتقنع بخطئك حتى في **اللغة أيها النحات من صخر ..**

ـ ان معظم ما جاء به المؤلف / الشاعر في مجموعته أغنيات ، من كلمات ، هي مولدة .. والتي ـ بالذات ـ اعتبرتها أنت ـ لغاية في نفس يعقوب / عامية .. يحق للشاعر أن يخلق مفرداته ، ويولد المعاني لادخالها في صيرورته الشعرية ، ثم يأتي النحات ويضعها في مصطلحاته أليس كذلك يا سمر .. والا ماذا ؟؟ ثم **ألا يحق ـ لنا ـ مع التطور التيكنولوجي أن نطور لغتنا** بالاسناد والاشتقاق .. ما هو رأيك في / بنطلونك الشارلستم الذي ترتديه الان .. أتقول عنه هذا سروالي .. وسربالي .. أم ماذا أفندي .. وعلى **عجل .. !**

- .. واضطراب الوزن في بعض الاسطر ..

(**لاحظ : هويتك فوق التمني**) ... وشيء آخر يتعاون فيه شاعرنا مع آخرين هو تعويد / انتبه أيها **القارىء الى تعويد / الاذن على « الخلط »** بين الاشطر الشعرية ، في ترتيب تفاعيل القصيدة ، ويكفي لذلك **أن نشير الى هذين الشطرين اللذين يعدهما الشاعر** بيتا من الخفيف لندرك مدى ضرورة ابتعاد الشعراء عن اللجوء الى مثل هذا الصنيع :

(حملتني الدروب في مهمه التيه
فطاشت مع الدروب شؤوني ..)
م/ الثقافة ـ العدد نفسه

ـ ـ **المجموعة** / أغنيات للارصفة البالية ، من **شعر التفعيلة** / معظمها / ولذا فالمؤلف تكيف ـ وهو حر ـ **في** ترتيب وبناء الجدار / أو السطر الشعري **كيفما خطر له** ، شكلا .. دون الخلل بالبحر .. أليس كذلك ؟ والا أين « الخليط » انني لم أره الا في سطورك **النقدية يا سمر ..**

ـ والبيت (المقصود) فعلا من / الخفيف مجزوء الخفيف..وهوسليم البنية والصحةوالانتماء العروضي:
[فعلاتن ـ متفعلن ـ فاعلاتن]
[فاعلاتن ـ متفعلن ـ فعلاتن]

أما أنني رتبته بدون(م)بين صدره وعجزه،فهذا ليس لك دخل فيه / فنيا ومن ناحية الشكل .. الترتيب شيء ونقدك (حاجة ثانية) باللهجة المصرية العامية الدارجة ..

هذا جزء من الاتهام أو الاخطاء التي علق عليها السيد / سمر روحي الفيصل عند تناوله بالنقد والتجريح ، مجموعة « أغنيات للارصفة البالية » وقد أهملت في هذا الرد ، الاشياء الفنية وايحاءات الصور النفسية التي انعكست عند سمر ، لان ذلك يحتاج الى تعميق صلتي به لادراك / بالفن ، نوعية استقبالاته للاشياء المحدثة في العصر..ومدى وضوح تلك المبتكرات الجديدة على (شاشة) ثقافته الجامعية ، لعلي أرجع عن رأيي فيه الان بأنه ـ أي سمر ـ وكأنه يعيش في عالم محنط لم تدركه بعد مستحدثات البيئة الادبية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة / دمشق .. هذه المدينة التي تتسلق كل شيء .. حتى مواضيع الشعر المقفى .. في (بلاغة الارداف ـ فوق طريق الصالحية اللزج ..) الذي لم يستطع سمر تمييز شكل واحد يختاره لنفسه في المدينة ، وأين له أن يميز .. فالقدرة على التمييز عنده ما زالت ضعيفة حضاريا وتحتاج ـ هذه القدرة ـ طبعا ـ الى عودة نحو الوراء لتبدء من جديد .. وتكون بذلك .. المدينة قد حلقت وحلقت.. وسمر يعدو خلفها للحاق بالركب .. ولا لحاق ..

للتفضل بالعلم والاطلاع صديقي العزيز
/ سمر روحي الفيصل / من المواطن / لا الشاعر :

اسماعيل عامود

مع الآداب العالمية

نتابع المسيرة على هدى أفكاره السامية

• كيم جواهيوك •

وجاء يوم تحرير البلاد •

وعاد الرفيق (كيم ايل سونغ) الى أرض الوطن ظافرا •

وتدفقت جماهير غفيرة من الناس تطلق هتافات الفرح ، ويعم بلادنا المظفرة غليان عارم نحو حياة جديدة •

وطننا الام •• ! لقد دعانا الى الجهاد المقدس اذ نفخ فينا الشجاعة وزودنا بعزم لا يقهر •

وقد ألهب الرفيق (كيم ايل سونغ) قلوبنا بحب الوطن خلال مسيرتنا الصعبة ، ونحن نجتاز محنة رهيبة تلو المحنة ، وفي الشدائد عندما تكون آخر حفنة من الارز المحمص قد نفذت ، فكان علينا أن ننبش في الثلج بحثا عن أعشاب جافة نقتات بها •

وكم حدثنا عن جبال بلادنا البديعة وأنهارها ، وعن قرانا ، مسقط رأسنا ، تلك التي ضمت رفاة أسلافنا، وكنا نحن اليها ونتلظى شوقا لرؤيتها •

وكلما جلسنا حول نار معسكر بعد مسيرة مضنية ، كان نظره يمتد عبر السماء نحو بلادنا عن بعد ، ويحدثنا بحزن عميق عن آلام شعبنا على أرض وطنه ، ويذكرنا بـ (معكرونة) قمح (بيون غيانغ) الاسود ، وعن سمك نهر (ديدونغ) وأيام الربيع البديعة في قرية (مان غيونغ دي) •

وعندما عاد منتصرا ، ساءلت نفسي : ترى متى يكون بوسعي زيارة قرية (مان غيونغ دي) التاريخية برفقته ؟

وكان قلبي يمتلىء سرورا وحبورا لمجرد التفكير بهذه الزيارة •

وتعتبر (مان غيونغ دي) في نظر الشعب الكوري ، في الحقيقة ، مصدر اشعاع روحي •

وتتوالى الايام ، وينقضي الزمن ، وسرعان ما مضى شهر منذ أن عاد الى أرض الوطن • الا أنه كان لايزال غير قادر على زيارة (مانغ يونغ دي) •

وخلافا لما كنت أعتقد ، فلقد كان الرفيق (كيم ايل سونغ) يبدو وكأنه قد أسقط كل تفكير بزيارة (بانغ يونغ دي) تلك التي كانت لا تغيب عن خاطره حتى أثناء نومه •

وبينما كان الارذال ورعاع الناس وأوباشهم على اختلاف مظاهرهم وصبغاتهم وألوانهم ، يتظاهرون بالوطنية وهم يندفعون بأنفسهم بكل قواهم في النشاطات الانفصالية القذرة ، بعد التحرير مباشرة ، كان هو يعمل ، على تنفيذ مخطط عظيم للعمل المقبل على نشر أهداف الثورة الكورية ومبادئها ، ويتباحث كثيرا مع عدد من الرفاق كل يوم منذ مطلع الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل ، ويزور المعامل والمشاريع ويعطي تعليماته وتوجيهاته ، ويرسم الخطوط لسير العمل وقد تعرف على ظروفها الحقيقية وألفها ، وراح ينظم العمال ويجندهم لخلق حياة جديدة •

وفي الحقيقة ، لقد كان يعمل ليلا ونهارا دون أن يوفر الدقيقة الواحدة ولا حتى الثانية ·

ثم حصل هذا ذات يوم :

توقف لحظة أثناء العمل ونظر من خلال النافذة الى البعيد سابحا في أفكاره · وأومأ الي يستدعيني نحوه وطلب مني الذهاب للقاء شخص يدعى (كانغ ريونغ سوك) ، كان يعيش في الطرف الآخر من نهر (بوتونغ) ·

وقال : (سوف يسر كثيرا لمقابلتك ولقائك ·· بلغه تمنياتي الحارة ، وقل له بأنني الآن ، وقد تحررت البلاد ، سوف أذهب لزيارتك قريبا جدا ·) ·

فانطلقت مباشرة ·

كان (كانغ ريونغ سوك) رجلا كهلا ، وأخذته الفرحة لسماع الاخبار عن الرفيق (كيم ايل سونغ) حتى أنه لم يعد يعرف ماذا يفعل ·

وعلمت من خلال حديثي معه بأن الرجل الكهل كان خال الرفيق (كيم ايل سونغ) ·

فقلت في نفسي : (ما هي الا مسافة قصيرة ، وكان بوسع الرفيق (كيم ايل سونغ) أن يحضر بنفسه خلال وقت قصير · ولكنه قد لايزور أسرته لاسباب شخصية ، ما لم يلتق أولا بالشعب بأسره ·

واستنتجت من ذلك أنه قد ينقضي بعض الوقت قبل أن يزور (مانغ يونغ دي) خلافا لتوقعاتي السابقة ·

وقبيل ١٤ تشرين أول ١٩٤٥ ، يوم أن وجه أول خطاب تاريخي الى الشعب الكوري برمته ، في لقاء جماهيري في مدينة (بيونغ يانغ) ، كان علي أن أواكب الرفيق (كيم ايل سونغ) في رحلته الى معامل الصلب في (كانغ سون) ·

ولقد كانت فرحتي بذلك عظيمة اذ تصورت أنه لا بد من مروره الى (مانغ يونغ دي) بزيارة قصيرة ، وهو بطريقه الى معامل الصلب ·

وبينما السيارة تنطلق بسرعة على طريق لا يبعد عن (مانغ يونغ دي) الا قليلا ، لاحت خلف الزجاج مناظر حقول مذهبة بحصيد بداية الخريف ، ناضج بديع، ومناظر هضاب مرتفعة ومنخفضة بحدائقها الخلابة بما فيها من أشجار الصنوبر الفتية ·

فقال وهو ينظر من خلال الزجاج : (ان منظر بلدتي، مسقط رأسي، تشبه اليوم ما كانت عليه في الزمن الغابر)· وكأنه يتأمل الايام الخوالي منذ عشرات من السنين مضت ·

وسررت اذ فكرت أن بوسعي مرافقته أخيرا الى (مانغ يونغ دي) ، ذلك المكان المحبب الى قلبه ·

وعندما بلغنا مفترق الطريق المؤي الى (مانغ يونغ دي) ، قال الرفيق (كيم ايل سونغ) للسائق بأن يتوقف بالسيارة ·

وخرج من السيارة ونظر باتجاه (مانغ يونغ دي) وقال : (ان (مانغ يونغ دي) هناك بالضبط ··· انه مكان جميل ··· أيها الرفيق (دجوا هيوك) ، اذهب اليها ، والق نظرة عليها نيابة عني ، ولسوف يعجبك المكان بكل تأكيد) ·

وفوجئت اذ سمعته يتكلم هكذا ، ولم أصدق كلامه الا بصعوبة · واكتفيت بأن نظرت اليه وهو غارق سابح في تفكيره ، ولم أتفوه بكلمة واحدة · ثم قال : (ها انني قد عدت الى مسقط رأسي ، بعد أن غبت عنه عشرين سنة· وعندما تكون هناك ، سوف تلتقي بجدي المسنين ، ذكرهم بي قل لهم بأنني سوف أعود الى قريتي بعد أيام ، فالبلاد قد تحررت ، وان عالما جديدا بديعا مقبل اليكم ··· حسنا ، سوف ألتقي بك ثانية هنا غدا في الصباح) ·

وعادت بي الذاكرة واضحة حية ، الى ما كان يحدثنا عنه نحن الانصار ، فكثيرا ما حدثنا عن جديه ، وحدثنا أنه كان في طفولته ، يقطف أفضل الدراق الناضج ويقدمه الى جده قبل أن يأكل منه أي حبة · وأنه كثيرا ما سمع من جديه حكايات قديمة ·

قريته التي ولد فيها ونشأ وترعرع ، مسقط رأسه الذي رآه يرزأ تحت أقدام الاعداء الانجاس ، تغمره اليوم فرحة التحرير · فأنى له أن ينسى هذه القرية ، مسقط رأسه ، حتى يوما واحدا طوال خمسة عشر سنة من الكفاح المسلح ضد اليابانيين ···

ألم يقاتل ، معرضا حياته في سبيل انقاذ قريته ومسقط رأسه من نير الامبرياليين اليابانيين ؟

ما أطول الزمن الذي يمر عليه اذ يؤخر زيارته لبيته القديم ···

الا أنه ينظر الى المستقبل البعيد ، فهنالك الكثير من المنجزات مما يجب السعي لتحقيقها وما أكثر ما ينتظره من مهام ثورية جسام لا بد له من أن يتولى تنفيذها هو بنفسه من تأسيس حزب ، واقامة حكومة شعبية شرعية وتحقيق اصلاحات ديموقراطية ، وغير ذلك كثير ···

ان عليه الآن أن يلتقي أولا بالعاملين بمعامل الصلب في (كانغ سون) للتباحث معهم حول عدد من المواضيع والقضايا ٠

وتأمل الرفيق (كيم ايل سونغ) طويلا بمناظر قمم هضاب (مانغ يونغ دي) ، وهو يألفها ، قبل أن يعود ببطء نحو السيارة ويدخل اليها ٠

لا أدري ماذا أفعل ، لم أكن قادرا على اتخاذ قرار بالذهاب وحيدا حتى ولو أنه هو الذي أمرني بذلك ٠ واستجمعت ما بي من جرأة وقلت له : (هلا مررت بها لبعض الوقت ؟) ٠ فنظر الى برهة ثم قال : (كلا ، ليس الآن ، فلسوف أمر بها في المرة القادمة) ٠

قال ذلك وتوجه نحو معامل الصلب في (كانغ سون)٠

ووقفت طويلا في ذلك المكان ، بعد أن انطلقت السيارة ، وقد امتلأ قلبي تأثرا ٠

لقد مضى دون أن يمر بمسقط رأسه رغم أنه كان قريبا جدا ، ذلك لانه ربط مصيره بمصير البلاد خدمة للقضية الثورية ليس الا ٠

(يا له من رجل عظيم) ٠

وتمتمت بهذه الكلمات مرغما دون أن أشعر ، وأنا أشيع السيارة بنظري وهي تبتعد ٠

وعاهدت نفسي بمزيد من التصميم ، على أن أستنبط تعاليمه وأواصل استنباطها من أفكاره العميقة الواسعة باستمرار ، وهي أعمق من المحيط وأوسع ، وأعلى من الجبال ٠ وبأن أصبح ، وأنا اتبعها ، عضوا صالحا في الحزب ، مخلصا للبلاد وللشعب اخلاصا لا حد له ٠

وسلكت الطريق نحو (مانغ يونغ دي) ، بمعنويات عالية شامخة رفع من شأنها شعوري بفرحة أن أكون ذلك الذي تصله بزعيم عظيم مثله تلك الصلة الوثيقة وبعزة ما يغمرني به ذلك من شرف كبير ٠ وكنت بنفس الوقت أحس بالمرارة والاسى اذ كنت ذاهبا وحدي الى (مانغ يونغ دي) دونه ٠

وبينما كنت أهبط الطريق خطوة خطوة ، متذكرا أن هذا هو نفس الطريق الذي سار عليه في طفولته ، الطريق الذي سلكه ليذهب الى شمال شرق الصين بمثل تلك الافكار السامية ، وقد اكتشف وحده مأساة البلاد ، فأخذ القضية الوطنية على عاتقه بعزم وتصميم ٠

ورحت أستعرض بطريقة حية ما عاصرته من أحداث السنين العشر المنصرمة بكل ما فيها من محن واشكالات ٠

وعاودتني ذكرى بين جميع الذكريات الاخرى لاتزال منقوشة في نفسي ، ولا يمكن أن تمحى ، تلك هي ما وجهه الينا من عبارات ، عندما جاءنا الى مركز سريتنا في الايام الصعبة من فترة الحملة نحو منشوريا الشمالية ، اذ قال : (٠٠٠٠ لا يمكن أن تكون لنا مصلحة سوى مصلحة الثورة ٠ فلنضع مصلحة الثورة فوق المصالح الشخصية٠٠)

كان ذلك خلال صيف ١٩٣٥ ، عندما كانت سريتنا متمركزة قرب (سان تاوهوتزو) في مقاطعة (نين غان) وكان الرجال منهوكي القوى وقد أعياهم التعب بعد مسيرة طويلة مضنية عبر الغابات الكثيفة البكر في جبال (لاوييه لينغ) ، تلك التي كانت تعتبر صعبة السلوك حتى على طيور الجبال ٠

وبهذا الوقت بالذات ، وردنا خبر مفاده أن الرفيق (كيم ايل سونغ) قد وصل الى سريتنا ليزورها ٠ فلم يتمالك عناصر سريتنا أنفسهم من شدة الفرح ، وراحوا يستعدون للاجتماع به في أول لقاء لهم بالرفيق (كيم ايل سونغ) ، وهو الذي يكنون له اعتبارا كبيرا على الدوام ، فنسوا تعب مسيرتهم وآلامها ٠

فسأل ، والبسمة الرؤوف المحبة تطفح على وجهه ، وهو يشد على يد كل واحد منا بحرارة : (كيف حالكم!٠٠٠ لقد قابلتكم مصاعب كثيرة٠٠٠) ٠ وبعد أن استعرض وجوهنا بنظرة متفحصة ، أضاف : (أنتم الآن متعبون جدا وبحاجة الى الراحة) ـ٠ ففوجئنا فعلا من قوله هذا وقلت في نفسي : (لقد تركنا جميعا تعبنا جانبا ، وحضرنا ذاتنا الى أن توصلنا لجعل أنفسنا مستعدين كما لو أننا جاهزون للمسير) ، وسألت نفسي : (وما الذي جعله يقول هذا القول ؟ فهل صرح أحد منا بتعبه أمامه ؟) ولكن الامر لم يكن كذلك ، فانه هو الذي يرى من خلال كل شيء دون أن يخطيء ، لا يمكن أن تفوته ملاحظة آثار التعب على وجوه الجنود ٠ وكيف لا ٠٠ ؟

وتحدث الينا الرفيق (كيم ايل سونغ) نحن الانصار ، وسأل كلا منا بالتفصيل عن مسقط رأسه وعما يشتهر به من حاصلات محلية ، واستوضح عمن كان له أبوان وزوجة وأولاد ، وأصبحت علاقتنا به صميمة لحد أننا كنا نحس بأنه هو أبونا أكثر منه قائدنا٠ لذلك فقد حدثناه عن كل ما في قلوبنا دونما تحفظ ٠

وقال ، بعد أن استمع الى أقوالنا الصريحة دون مواربة : (والآن ، وقد استمعت اليوم الى الكثير فقد حان

دوري في الكلام ، أليس كذلك ؟) ، وقال (... ان الثورة كفاح يجعل الحياة معرضة للخطر ، ولا تتوقعوا أن تسير الثورة على أبدع مايكون ، دون أن تكلفكم لا عرقا ولادما.
(ان هدفنا من الثورة أن نعيد بناء البلاد وأن نؤمن الحياة الرغدة السعيدة للجميع . ولهذا السبب بالذات ، حملتم السلاح وأنتم مستعدون للموت ، أليس كذلك ...؟
(انه لمن الرائع أن تشاركوا بالثورة .
(على أن طريق الثورة محفوفة بالمخاطر والمشاكل كما ترون الآن ... **ولقد صادفنا جميعا كثيرا من المحن** والاشكالات . علينا أن نتذكر بلادنا تلك التي خسرناها ، مسقط رأسنا ، يطؤها الاعداء بأقدامهم ، وعلينا أن نتذكر آباءنا وأمهاتنا وزوجاتنا وأولادنا ، انهم حفاة عراة جياع.
فلنفكر اذن بالثورة ، أولا وقبل كل شيء ...
ولنفكر بالمستقبل الحر السعيد ، عندما ينعم الشعب برمته ، بحياة البحبوحة والرخاء ، يحصل على ما يكفيه من الغذاء وتتوفر له الملابس الجيدة...
ولسوف نرى أياما سعيدة كهذه بكل تأكيد ...
(ولكن السعادة لا تأتي من نفسها ، ولا بد لنا من الكفاح لبلوغها .. هذا هو الواجب المقدس الذي يترتب علينا انجازه .
(وأنى لنا أن ننثني أمام الاشكالات والمحن عندما نفكر بهذا ... ؟
(فماذا رأيكم .؟ أليس هذا صحيح ...؟) .
وتأثرنا جميعا وبعمق بالغ لافكاره الثورية العظيمة، وتوقف الرفيق (كيم ايل سونغ) عن الكلام ولكننا بقينا هكذا جالسين صامتين ، وبقي كل منا جالسا في مكانه ، سابحا في أفكاره وتأملاته خلال وقت طويل ....
وعندما عدنا الى روعنا ، كنا قد نسينا الالم والتعب، اذ تغلبنا عليهما ، وقد شحن قلوبنا بعباراته عزما وحماسا ملتهبا ...
ولم تكن قدرة عباراته وحدها هي التي أوحت لنا بمثل هذه القوة العظيمة .
فان هنالك أيضا ثباته النبيل الذي كرسه برمته الى قضية الوطن الام ، والى الثورة ، وكذلك كانت هنالك أعماله جميعا وهي التي كان يعطي بها مثلا رائعا يقتدى به الآخرون ...
لقد اختار طريق الجهاد المقدس لتحرير أراضي الـ (٣٠٠٠) ري من وطننا ، (١٠ ري تساوي ٤ كم : ٣٠٠٠ ري تعني بلادنا كوريا بأكملها) ، يجتاحها العدو الآن، ومن أجل تحرير ٣٠ ثلاثين مليون انسان من مواطنينا من نير العبودية .
فكم تعرض للموت في سبيل تعبيد طريق مستقبل مشرق لوطننا ...

ان ذلك الذي انتصب كالمنارة أمام أرتال المسيرة الصعبة عبر الثلوج المرتفعة لما يزيد عن ارتفاع قامة الرجل ، في برد قارس لان يجمد أعضاء جسم الانسان تجميدا كاملا ، ان الرجل الذي وضع المخطط العظيم لاعادة بناء الوطن ، ودفع نحو الامام منهاجا واسعا لبناء كوريا جديدة في بلادنا المحررة ، حتى أثناء المعارك الضارية في الجبال (بايك دو) ، خلال العواصف الثلجية الهوجاء تلك التي تدب الذعر في قلب الصخور ، ان ذلك الذي اخترق بنفسه غابات وغابات من حراب الاعداء ، وحمل مشعلا الى (بوتشوبو) ، وألهب دروب الكفاح أمام ٣٠ ثلاثين مليون من الكوريين ، ذلك الرجل لم يكن سوى الجينيرال (كيم ايل سونغ) ، زعيم أمتنا العظيم ...

فلقد قادتنا مبادئه الثورية بسموها ، وقادتنا أفكاره الفاضلة بنبلها الى النصر .
وكنت أتوجه نحو (مانغ يونغ دي) وأنا سابح في هذه الافكار ، ولم أدرك بأنني كنت غارقا في هذه الذكريات الا عندما لاحت أمامي (مانغ يونغ دي) .
ولقد علمنا الرفيق كيم ايل سونغ ، بأن كان نموذجا أمامنا ، نسير على هديه ، وهو يعطينا في كل يوم أمثلة على هذا الشكل .
وسارعت الخطى على طريق (مانغ يونغ دي)وأنا احتفظ بالمبادىء السامية تلك ــ **بوجوب تكريس كل شيء للثورة ــ ماثلة في ضميري .**

وبتاريخ ١٤ تشرين أول ١٩٤٥ ، يوم أن ألقى بخطابه لاول مرة أمام الشعب الكوري برمته في لقائه الجماهيري معه في مدينة (بيونغ يانغ ، يوم أن حياه لاول مرة بعد عودته المظفرة ، ذهب الرفيق (كيم ايل سونغ) الى مسقط رأسه في قرية (مانغ يونغ دي) .
وقد أفادت أفكاره العظيمة السامية ، بوجوب تكريس كل شيء لمصلحة الثورة اذ قادت الكفاح المسلح القاسي ضد اليابانيين ، ذلك الكفاح الذي دام ١٥ خمس عشرة سنة ، قادته الى النصر ، وترعرع فيها عشرات الالوف من الشيوعيين الحقيقيين ضحوا في سبيل الثورة بأرواحهم دونما تردد .. وكان هذا كل ما يملكون ...
ان أفكار الرفيق (كيم ايل سونغ) العظيمة ، ومبادئه السامية لترن اليوم في ضمير الشعب الكوري بأكمله وفي قلبه ، وأصبحت الآن سلاحا فكريا وعقائديا مشعا ينير للثورة طريقها في بناء عصر الـ (تشوليما) العظيم ، عصر حزب العمل .
والنصر الدائم لشعبنا بقيادة مبادئه العظيمة وخطوطه الثورية .